تنبيه ذوي الألباب السليمة

عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة

تأليف العلامة الشيخ

سليمان بن سحمان النجدي

١٢٦٦هـ - ١٣٤٩هـ

اعتنى به وخرج أحاديثه

عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن الرحمة

- ختم الله له بخير -

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

مكتبة الصحابة
للنشر والتوزيع
دولة الإمارات العربية
«الشارقة»
ت : ٠٦/٥١٥٥٧٥
فاكس : ٠٦/٣٧٤٥٤٤

مكتبة التابعين
القاهرة - عين شمس
٢٥ شارع أحمد عصمت
ت : ٤٩٣٨١٤٤
ت وفاكس : ٤٩٣٤٣٢٥

قام بالتجهيزات الفنية والمراجعة
دار التابعين للنشر والتوزيع
٢٥ أحمد عصمت - عين شمس
تليفون ٤٩٣٨١٤٤ فاكس ٤٩٣٤٣٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فهذا كتاب (تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة) للعلامة الفاضل : سليمان بن سحمان - رحمه الله - وهو عالم جليل ، وفاضل نبيل ، قد وهب نفسه للدفاع عن عقيدة السلف ، وأوقف قلمه للذود عن حياض السنة الغراء ، وقد صدق فيه من قال :

كم سنة صاح أحيا رسم دارسها
فصار يحكي سناها ساطعَ القمر

وبدعة درست واندكَّ شامخها
والحق يعلو وليلُ الجهل ذو غير

كم جاهل جال في الميدان حلَّ به

من مخلب الليث فتكًا غير منجبر

ولقد أثرى ابن سحمان - رحمه الله - المكتبة الإسلامية، بكتب وردود قوية ، رفيعة الشأن ، عظيمة المقام، امتازت بقوة الحجة ونصاعة البرهان ، وهي محتوية على العقيدة السلفية المستقيمة ، ومن تلك الكتب الرائعة ، كتابنا (تنبيه ذوي الألباب السليمة) ؛ وقد سلك المؤلف فيها طريقة السلف الصالح -رحمهم الله- ، ونبه على أشياء في الأسماء والصفات هي من البدع المحدثات ، وأوضحها بكل ما يلزم التوضيح ، فكان الكتاب - ولله الحمد والمنة - من أجمع الكتب التي ألفت في تلك الألفاظ المبتدعة الوخيمة .

وإن حاجة الأمة عامة ، وطلبة العلم منهم خاصة ، جعلني أشحذ الهمَّة ، وأقوي العزيمة ، في إخراجه في حلة جديدة وثوب قشيب ، يسر الناظرين ، وأحذف منه بعض التعليقات التي كانت في غير محلها ؛ وهي تدل - أي التعليقات - على بعد معلقها عن السنة الغراء ، وعن النظر في كتب المتقدمين ، من أئمة الدين ، من سلفنا الصالحين.

هذا وقد خدمت الكتاب بأن خرجت أحاديثه ، ووضعت له عدة فهارس تراها في آخر الكتاب ، والله العلي العظيم أسأل بأن له الحمد لا إله إلا هو ، الحنان المنان ، بديع السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام أن يتقبل عملي خالصًا لوجهه الكريم ، ويرزقني فيه القبول في الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب .

اللهم ارزقنا هديًا قاصدًا ، وجنبنا منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء، إن ربي لسميع الدعاء ، ولله الحمد والمنة، على نعمة الإسلام والسنة ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه فقير عفو ربه :

عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن الرحمة .

في مكة - *زادها الله شرفًا* -

بعد ظهر *الثلاثاء* ١٣/ ١٠/ ١٤١٥ هـ



ترجمة المؤلف - بإيجاز -

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه :

هو العالم الفاضل ، الذابُّ عن حياض السنة ، المجاهد بقلمه ولسانه ، المدافع عن الدعوة السلفية : سليمان بن مصلح ابن سحمان بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الخثعمي - صلبًا لا ولاءً - التبالي العسيري أصلاً ومولدًا .

يكنى : بأبي عبد العزيز .

لقبه : حسان السنَّة ؛ لإجادته القريض والشعر ، ومنافحته عن دين الله ، وذبه عن الدعوة السلفية وأهلها . لقب بهذا اللقب ، المطابق لما لقب به ، فكم من باطل أزهقه ، بفضل الله ومنته ، وكم من حق أوضحه ، بفضل الله ورحمته .

نسبه : يرجع نسبه إلى قبيلة خثعم المشهورة ، وقد جعله بعض أهل الفضل والعلم من الموالي ، وتلك شكاة ظاهر عنك عراها ، وفرية بلا مِرية ، بل الصواب أنه خثعمي صلبًا لا ولاءً، وقد دافع الشيخ عن نفسه ، وبين أصله وفصله (والناس مؤتمنون على أنسابهم) فليتنبه بعض من يترجم له إلى هذا الأمر المهم ، ولا يقع في الخطأ والزلل من حيث لا يدري .

مولده : ولد في قـرية السقا ، إحـدى قرى مدينـة أبها ، التابعة لإقليم عسير في جنوب المـملكة العربية السعودية ، وذلك في عام ألف ومائتين وست وستين من الهجرة النبوية (١٢٦٦هـ).

بيئته : نشأ الشيخ سليمان - رحمه الله - في بيت له عناية بالعلم وتحصيله ، فقد كان والده - رحمه الله - من حفظة كتاب اللـه العزيـز ومن الخطـاطين المشـهورين بـجودة الخط، وحـسن الكتابـة، كما أن له يدًا وباعًا في بـعض العلوم الشرعيـة ، فنشأ الشيخ - رحـمه الله - في هذه البـيئة ، وقرأ كتاب اللـه وحفظه علـى والده - رحمه الـله - وتلـقى علـيه بعض مـبادئ العـلوم الشرعيـة ، فلذا كانت لنـشأته هذه أكبر الأثـر في توجهه للـعلم الشرعي وطلبه حتى عُدَّ من العلماء المبرزين ، والفقهاء الراسخين في العلم .

خروجه مع والده إلى الرياض وطلبه العلم فيها وفي الأفلاج :

نزح والـده - رحمه الـله - إلى بلاد الـرياض - عاصـمة الدولة السعودية - وذلك في عهد الإمام فيصل بن تركي - رحمه الله - وحـل عليه ضـيفًا ، فأكـرم الإمام فيصـل وفادته ، وآواه وأكرمه وقطع له ولـعائلته راتبًا من بيت المال . فـلما رأى الشيخ

سليمان - رحمــه الله - الرياض زاهية بحلقات الـعلم ، ومشرقة بنور المعــرفة ، كاظَّة بالعلمــاء الأفذاذ ، كالشيخ عبدالــرحمن بن حسن - رحمه الله - فجد واجتهد في التحصيل وثابر وصبر على طلب العلم ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الأفلاج ، لحصول الفتنة في الرياض ، واستقر فيها أمدًا ليس بــاليسير ، وفيها قرأ المطولات ، وطلب العــلم بهمة وعزيمة قويــة ، على العلامة الشيــخ حمد بن عتيق - رحمه الــله - واجتهد في العلوم الشــرعية ، ثم عاد إلى الرياض عام ١٣٠١هـ بـعد خمود الفتنة ، وأخذ يحـضر حلقات الشيــخ عبداللــه بن عبد اللـطيف - رحمهــما الله - مــع أنه من أقرانه، وفي ذلك أكبر دليل ، وأبين برهان على تواضعه - رحمه الله- .

أشهر شيوخه :

١ - الإمام العالـم العامل الفاضل : عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - .

٢ - ابنه الإمام المناضل عن دين اللــه الشيخ : عبداللطيف ابن عبد الرحمــن بن حسن بن محمد بن عبــدالوهاب - رحمهم الله - .

٣ - الإمام اللوذعي الفاضل الشيخ : حمد بن عتيق - رحمه الله ـ .

٤ - الشيخ العلامة : عبد الله بن عبد اللطيف - رحمه الله ـ قرأ عليه ولازم دروسه وحضرها ، مع أنه من أقرانه ولكن هذه سمة العلماء الربانيين لا يتكبرون عن العلم .

مؤلفاته وآثاره العلمية :

إن الناظر بميزان الاعتدال ، في مصنفات أئمة الدعوة النجدية - رحمهم الله - يجد أكثرها في جانب الردود ، وما كان ذلك إلا لكثرة أعداء الدعوة، من أنصار الشرك والبدع والضلال، وقد كان للشيخ العلامة : سليمان بن سحمان - رحمه الله - الحظ الأوفر من تلك الردود ، فقد كان سيفًا صارمًا مسلولاً على هؤلاء الأعداء ، فجرد قلمه للردود على الأعداء المغرضين ، والحاقدين الظالمين ، كل ذلك بقوة حجة، ونصاعة عبارة ، جامعًا أمرين قلما يجتمعان في عالم، ألا وهما جودة الإنشاء والنثر وجودة قرض الشعر ، فأصبح - رحمه الله - يرسل على الأعداء الضالين والمبتدعة المارقين صواعقًا وشهبًا من شعره ونثره ، امتازت بقوة الحجة، وسطوع البرهان ، وحسن الاستدلال، فأخذ بذلك

يدحض أقوالهم ، ويرد على شبههم ، ويوهن حجتهم ، وأرسل عليهم شواظاً من قصائده الطنانة وأشعاره الرنانة ، وقوافيه المحكمة وأبياته القوية الرصينة ، ما يدحض تلك الشبه ، ولا غرو في ذلك ، فهو ذو القلمين وصاحب الصناعتين ، وهو اللسان المحامي عن الدعوة ، والسيف الذائد عن الملة.

وهاك الآن بعد هذه الإلماعة ، بعض هذه المؤلفات والآثار العلمية ، شواهد صدق ، ناطقة بالحق على ما ذكرناه من قبل ، فمن تلك الردود القاطعة ، والحجج الدامغة ، والبراهين الساطعة:

١ - الأسنة الحداد في الرد على علوي الحداد . طبع في عهد الملك سعود في الرياض ١٣٧٦هـ .

٢ - الصواعق المرسلة الشهابية على الشبهه الداحضة الشامية . طبع عن دار العاصمة في الرياض ١٤١٠هـ .

٣ - كشف غياهب الظلام عن جلاء الأوهام .طبع في عهد الملك سعود في الرياض ١٣٧٦هـ .

٤ - الضياء الشارق في الرد على شبهات الماذق المارق . طبع عن دار العاصمة في الرياض ثم طبع حديثًا عن دار الإفتاء

١٤١٥هـ .

٥ - إقامـة الدليل والمحـجة . طبع عـن دار العاصمـة في الرياض ١٤١٠هـ .

٦ - الجواب المستطاب على ما أورده المرتاب . مخطوط .

٧ - كشف الالتبـاس عن تشبيه بعض الأغبـياء من الناس . طبع عن دار العـاصمة في هذا العام ١٤١٥هـ في مـجموع سماه محققه الأخ الفاضل عبد العزيـز بن عبد الله بن الزير آل حمد : (إجماع أهل السنة النبوية على تكفير المعطلة الجهمية) .

٨ - تبرئة الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين . طبع عن دار العاصمة في الرياض . ١٤١٠هـ .

٩ - الرد على عبد الله بن عمرو . مخطوط .

١٠ - كشف شبهات البغدادي . مخطوط .

١١ - مشروعية الجهر بالذكـر بعد السلام . مطبوع عن دار العاصمة عام ١٤٠٨هـ .

١٢-كشف الشـبهتين عن يوسـف بن شبيب والقـصدتين . طبع عن دار العاصمة عام ١٤١٠هـ .

١٣ - رد علـى جريدة الـقبلـة . طبع عـن دار العاصـمة

١٤١٢هـ .

١٤ - الجواب المنكي في الرد على الكنكي . مخطوط.

١٥ - إرشاد الطالب إلى أهم المطالب . مطبوع .

١٦- الجيوش الربانية في كشف الشبهه العمروية - رد على عبد الله بن عمرو - . مخطوط .

١٧- أشعة الأنوار بما في « لا إلـه إلا الله » من الأسرار. مطبوع .

١٨ - الهدية السنية . مخطوط .

١٩ - الرد علـى الكتاب الذي ألفـه عبد الله بـن عمرو . مخطوط .

٢٠ - تنبيه ذوي الألباب السليمـة ،هو كتابنا هذا وقد طبع في مصر عام ١٣٤٣هـ بتعليق رشيد رضا .

٢١- نظم اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية .

٢٢ - ديوان شعر كبير حوى غرر القصائد والنظم . مطبوع بعناية سعد بن رويشد - رحمه الله - .

وغير ذلك مـن الكتب المفيدة ، والـرسائل النافعـة الماتعة،

التي أثرى بها - رحمه الله - المكتبة الإسلامية ، جعل الله ذلك في ميزان حسناته ؛ آمين .

وله بعض رسائل مفرقة في فتاوى علماء نجد الأعلام، كما قام بجمع وترتيب وتبويب رسائل وفتاوى شيخه العلامة اللوذعي الشيخ :عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - رحمهم الله - وجعل لها مقدمات وتراجم.

ذريته :

خلف الشيخ من الأولاد ثلاثة هم : عبد العزيز وصالح وعبد الله ، وله أحفاد من هؤلاء الثلاثة ، وهم - ولله الحمد والمنة - من أهل الصلاح والتقى ، وبعضهم من أهل العلم والقضاء .

مرضه ووفاته :

لقد كف بصر الشيخ العلامة سليمان بن سحمان - رحمه الله - عام ١٣٣١هـ وما زال على حاله تلك ، نيراً ولله الحمد والمنة في بصيرته ، زاهداً في الدنيا ، مقبلاً على الآخرة ، حتى توفاه الله في عام ١٣٤٩هـ ، رحمه الله وقدس روحه . فلقد كانت له اليد الطولى ، والقدح المعلى في الردود والتأليف ،

والدفاع عن عقيدة السلف ، والذود عن الشريعة المحمدية ، والملة الحنفية ، حتى عد من أكبر المجاهدين بألسنتهم وأقلامهم [1] .

قلت : هذه عجالة نافعة ، من ترجمة العلامة سليمان بن سحمان - رحمه الله - وترجمته أطول من هذه الوريقات، والله العلي العظيم أسأل أن يسيِّر من يفرد له ترجمة وافية ، يشير فيها إلى جهود الشيخ - رحمه الله - في الدفاع عن عقيدة السلف وأعماله ومؤلفاته ، إن ربي لسميع الدعاء .



(١) راجع علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٢٨٧) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

من سليمان بن سحمان ، إلى جناب عالي الجناب ، الأخ المكرم الأحشم الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، سلمه الله تعالى وهداه ، وحفظه وتولاه ، وجعله من حزبه وأوليائه الذين يغضبون لغضبه ويرضون لرضاه ، آمين ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأزكى وأشرف تحياته .

أما بعد : فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل وهو على كل شيء قدير ، على ما أولاه من نعمه وصرف عنا من نقمه ؛ والخط الشريف وصل وصلك الله إلى خير الدنيا والأخرى ، وما ذكرته كان معلومًا ، خصوصًا ما ذكرته من جهة المرزوقي ، فاعلم يا أخي أنه قد تبينت لنا حاله ، فلا يروج علينا في الإخوان ما لفقه وقاله ، فلا يهمنك أمره ، وقد اجتمعنا بك في البحرين ولم نسمع منك إلا ما يسرنا من حسن العقيدة ، ومحبة هذه الدعوة وأهلها والسعي في نشر ما ذكره وألفه شيخ الإسلام ، وقدوة العلماء الأعلام ، الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ، أجزل الله له الأجر والثواب ، فلا نقبل بعد

ذلك إلا ما تحققناه وبان لنا كالشمس في نحر الظهيرة ، والقول السديد والكواكب الدرية وصلت إلينا فلما قرئت عليَّ ديباجة الكواكب الدرية ومر بسمعي قولك وقد كنت قرأت في تراجم بعض الأفاضل من الحنابلة ، كالشيخ العلامة حسن الشطي والشيخ الإمام محمد بن علي بن سلوم ، لم تسمح نفسي بسماعها ، بعد أن ذكرت هذين الرجلين ، لأنه قد كان من المعلوم عندنا لما تحققناه عن مشايخنا ، أن محمد بن علي بن سلوم ليس هو من أئمة أهل الإسلام ولا من الأفاضل الأعلام ، بل كان ممن شرق بهذا الدين ولم يرفع به رأسًا ، بل عاداه وعادى أهله واتبع غير سبيل المؤمنين ، وكان من المعلوم أيضًا عندنا أن آل الشطي من أئمة الضلال ، وممن يدعون إلى دعاء الأنبياء والأولياء والصالحين ، ويجيزون الاستغاثة بهم في المهمات والملمات ، ومن كان هذا سبيله فليس هو عندنا من الأئمة الأعلام ولا من أفاضل أهل الإسلام ، وإن كانوا من الحنابلة .

ثم إني بعد برهة من الزمان أشرفت على ورقة اعترض صاحبها على أشياء مما في هذين الكتابين مما يخالف ما ذكره المحققون من أهل السنة والجماعة الذين هم الأسوة وبهم القدوة ،

وقد ذكرت لي أني إن عثرت على شيء مما يذكره المعارضون لها مما يخالف الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وأئمتها أني أبين ذلك لك وأنك ترجع في ذلك إلى الحق والصواب مما قاله السلف الصالح - رضوان الله عليهم - وهذا هو الحق على من كان مقصوده طلب الحق والإنصاف وترك التعصب والاعتساف ، فلما تأملت ما في هذه الورقة وقابلتها بما في هذين الكتابين من الأشياء المخالفة لما عليه المحققون من أهل السنة والجماعة أحببت أن أنبهك على ذلك ، فمن ذلك ما ذكره الشارح على قوله :

ثم الصلاة والسلام سرمدًا .

قال : الصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار ، ومن غيرهم التضرع والدعاء بخير. وهذا خطأ والصواب ما ذكره البخاري في صحيحه عن أبي العالية قال : (صلاة الله ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى)[1] . وإذا كان هذا هو الصواب في المسألة، فلا ينبغي للعالم أن يترك ما هو الراجح المقطوع به ،

(١) أخرجه البخاري معلقًا في كتاب التفسير (باب إن الله وملائكته يصلون على النبي) وقال العسقلاني : أخرجه ابن أبي حاتم من طريق آدم بن أبي إياس قال : حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس به .

ويذكر القول المرجوح الذي لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ، ولا ذكره المحققون من أهل العلم، وإن كانت هذه المسألة أخف مما بعدها ، والله المستعان .

ومنها ما ذكره في الكواكب في صفحة أربعة وعشرين قال في معنى الاستواء : (استواء منزهًا عن المماسة والتمكن والحلول) ، فاعلم أن هذا القول قول مبتدع مخترع لم يذكره أحد من أهل العلم من سلف هذه الأمة وأئمتها الذين لهم قدم صدق في العالمين ، وقد تقرر أن مذهب السلف وأئمة الإسلام عدم الزيادة والمجاوزة لما في الكتاب والسنة، وأنهم يقفون وينتهون حيث وقف الكتاب والسنة وحيث انتهيا.

قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - : (لا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ) انتهى . وذلك لعلمهم بالله وعظمته في صدورهم وشدة هيبتهم له وعظيم جلاله، ولفظ المماسة لفظ مخترع مبتدع ، لم يقله أحد ممن يقتدى به ويتبع ، فإن أريد به نفي ما دلت عليه النصوص من الاستواء والعلو والارتفاع والفوقية فهو قول باطل ضال ، قائله مخالف للكتاب والسنة ولإجماع سلف الأمة مكابر للعقول

الصحيحة والنصوص الصريـحة ، وهو جهمي لا ريب من جنس ما قبله ، وإن لم يُرد هذا المعنى بل أثبت العلو والفوقية والارتفاع الذي دل عليه لفظ الاستواء، فيقـال فيه: هو مبتدع ضال قال في الصفـات قولاً مشتـبهًا موهمًـا ، فهذا اللـفظ لا يجوز نـفيه ولا إثباته، والـواجب في هذا الباب مـتابعة الكتـاب والسنة والتعـبير بالعبـارات السلفية الإيمـانية وترك المتشـابه . هذا ما ذكره شيـخنا الشيخ عبد اللـطيف بن الشيخ عبد الرحمن بـن حسن في جوابه على بعض الجهمية .

وأما قـول الشـارح في صـفحـة خمـس وعشـرين مـنه : (فمذهب السلف الـصالح أن الله تعالى مستوٍ علـى عرشه حقيقة من غير مماسة) ، فقوله : من غير مماسة ، قول على السلف بلا علم ولا بـرهان كما قدمـنا بيانـه ، اللهم إلا أن يكـون من قول بعض مـن ينتسـب إلى السلـف من أهل الكـلام الذين لا يعـتد بقولهم ولا يعول عليه في هذا الباب ؛ لأن هذا اللفظ لم يرد في كتاب ولا سنة ولا قول صاحـب ولا قول أحد من الأئمة ، ومن زعم هذا فعليه الدليل ، والدليل على بطلان هذه الزيادة: ما قاله الإمام عبد العزيـز بن عبد الله بن أبي سلمـة الماجشون وهو أحد

أئمة المدينة الثلاثة الذين هم : مالك بن أنس ، وابن الماجشون ، وابن أبي ذئب ، وقد سئل عما جحدت الجهمية : (أما بعد ، فقد فهمت ما سألت فيما تتابعت الجهمية ومن خالفها في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير ، وكلت الألسن عن تفسير صفته ، وانحسرت العقول دون معرفة قدره ، وردت عظمته العقول فلم تجد مساغًا فرجعت خاسئة وهي حسيرة، وإنما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير ، وإنما يقال: (كيف) لمن لم يكن مرَّة ثم كان ، فأما الذي لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل ، فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو، وكيف يعرف قدر من لم يعد ومن لم يمت ولا يبلى ؟ وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى يعرفه عارف أو يحد قدره واصف ، على أنه الحق المبين لا حق أحق منه ولا شيء أبين منه، الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته : عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه ، لا تكاد تراه صغراً يحول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر لما يتقلب به ويحتال من عقله أعضل بك وأخفى عليك لما ظهر من سمعه وبصره ، فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم ، وسيد السادة وربهم : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ البَصِير﴾[1] اعرف -رحمك الله- غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها، إذا لم تعرف قدر ما وصف منها فما تكلفك علم ما لم يصف ؟ هل تستدل بذلك على شيء من طاعته ؟ أو تنزجر به عن شيء من معصيته ؟ فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقًا وتكلفًا قد استهوته الشياطين في الأرض حيران ، فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن قال: لا بد إن كان له كذا من أن يكون له كذا ، فعمى عن البيِّن بالخفي وبجحد ما سمى الرب بصمت الرب عن ما لم يسم منها). إلى آخر كلامه رحمه الله .

والمقصود من ذلك قوله : اعرف رحمك الله غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها ، إذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف ؟ وقوله : وبجحد ما سمى الرب من نفسه بصمت الرب عن ما لم يسم منها ، والله سبحانه تعالى لم يصف نفسه في كتابه ولا وصفه رسوله ﷺ في سنته بأنه استوى على العرش

(١) سورة الشورى : ١١.

استواء منزهًا عن المماسة والتمكن والحلول ، وقد ذكرت بعد هذا ما ذكـره الإمام ربيـعة بـن عبد الـرحمن والإمـام مالـك والإمام الشافعي والإمـام أحمد وإمام الأئمة محمد بن خـزيمة - رحمهم الله تعالى - ولـم يذكر أحد منهم هذا القول المخترع المبتدع ، ولو كان هذا مذهب الـسلف لذكره أئمتهم المذكـورون ، فعلم أن هذا ليس هو مذهب السلف الصالح والله أعلم .

ومنها ما ذكره في الكواكب أيضًا على قوله :

ولـيس ربـنا بـجـوهـر ولا

عرض ولا جسم تعالى ذو العلا

فاعلم وفـقني الله وإياك للعـلم النافع والعمـل الصالح أن لفظ الجوهر والعرض والجسم ألفاظ مبتـدعة مخترعة لم يرد بنفيها ولا إثبـاتها كتـاب ولا سنة ولا قول صـاحب ولا أحد من أئـمة التابعين ، ولا من بعـدهم من الأئمة المهتدين الذين يعـتد بقولهم في هذا الباب فإذا تحققت ذلك فهذه الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتـها لا تطلـق حتى ينـظر في مقـصود قائلـها فإن كان مـعنىً صحيحًا قُبلَ لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجمـلة ، إلا عند الحـاجة مع قـرائن تبـين المراد مثل أن يـكون

الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها ونحو ذلك، فإذا تبين هذا فالواجب على من منحه الله العلم والمعرفة أن ينظر في هذا الباب - أعني باب الصفات - فما أثبته الله ورسوله أثبته ، وما نفاه الله ورسوله نفاه .

والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني ، وننفي ما نفته نصوصها من الألفاظ والمعاني .

وأما كون شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - وتلميذه ابن القيم مالا إلى أنه لا وجود للجوهر الفرد فحق ، ولكن المقصود بذلك الرد على من أثبت الجوهر الفرد وأنه لا حقيقة لوجوده ، ولا يلزم من ذلك إذا رده ونفاه أنه يرى أن إطلاق هذه الألفاظ على الله نفيًا وإثباتًا جائز فقد ذكر- رحمه الله - في بعض أجوبته ما نصه: (فإن ذِكْر لفظ الجسم في أسماء الله تعالى وصفاته بدعة لم ينطق بها كتاب ولا سنة ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها ، ولم يقل أحد منهم أن الله تعالى جسم، ولا أن الله تعالى ليس بجسم، ولا أن الله تعالى جوهر ولا أن الله تعالى ليس بجوهر) انتهى .

وكما صرح بذلك فيما ذكرناه عنهما ، وفي بعض مواضع أخر خلافًا لما ذكره الناظم وأقره الشارح .

إذا تقرر هذا فلابد من ذكر كلام أئمة أهل الإسلام على هذه الألفاظ المبتدعة المخترعة التي أدخلها بعض المنتسبين إلى السنة من أهل الكلام وغيرهم في العقائد ، ونسبها بعضهم إلى مذهب السلف - رضوان الله عليهم - وذلك مثل لفظ الجوهر والجسم والأعراض والأغراض والأبعاض والحدود والجهات وحلول الحوادث وغيرها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - : (وكانت المعتزلة تقول : إن الله منزه عن الأعراض والأبعاض والحوادث والحدود ، ومقصودهم نفي الصفات ونفي الأفعال ونفي مباينته للخلق وعلوه على العرش ، وكانوا يعبرون عن مذهب أهل الإثبات أهل السنة بالعبارات المجملة التي تشعر الناس بفساد المذهب ، فإنهم إذا قالوا : إن الله منزه عن الأعراض لم يكن في ظاهر العبارة ما ينكر ، لأن الناس يفهمون من ذلك أنه منزه عن الاستحالة والفساد ، كالأعراض التي تعرض لبني آدم من الأمراض والأسقام ، ولا ريب أن الله منزه عن ذلك ، ولكن

مقصودهم أنه ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام قائم به ، ولا غير ذلك من الصفات التي يسمونها هم أعراضًا ، وكذلك إذا قالوا : إن الله منزه عن الحدود والأحياز والجهات ، أوهموا الناس بأن مقصودهم بذلك : أنه لا تحصره المخلوقات ، ولا تحوزه المصنوعات ، وهذا المعنى صحيح ومقصودهم به أنه ليس مباينًا للخلق ولا منفصلاً عنه ، وأنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله ، وأن محمدًا لم يعرج به إليه ، ولم ينزل منه شيء ولا يصعد إليه شيء ، ولا يتقرب إليه بشيء ، ولا ترفع الأيدي إليه في الدعاء ولا غيره ، ونحو ذلك من معاني الجهمية، وإذا قالوا : إنه ليس بجسم أوهموا الناس أنه ليس من جنس المخلوقات ولا مثل أبدان الخلق وهذا المعنى صحيح ، ولكن مقصودهم بذلك أنه لا يرى ولا يتكلم بنفسه ولا تقوم به صفة ولا هو مباين للخلق وأمثال ذلك . وإذا قالوا : (لا تحله الحوادث) أوهموا الناس أن مرادهم أنه لا يكون محلاً للتغيرات والاستحالات ونحو ذلك من الأحداث التي تحدث للمخلوقين فتحيلهم وتفسدهم ، وهذا المعنى صحيح ولكن مقصودهم بذلك أنه ليس له فعل اختياري يقوم بنفسه ولا له كلام ولا فعل يقوم به

يتعلق بمشيئته وقدرته وأنه لا يقدر على استواء أو نزول أو إتيان أو مجيء ، وأن المخلوقات التي خلقها اللـه لم يكن منه عند خلقها فعـل أصلاً ؛ بل عـين المخلوقـات هي الفـعل ليـس هناك فـعل ومفعول وخلـق ومخلوق؛ بل المخلوق عين الخلـق والمفعول عين الفعل ونحو ذلك ، انتهى .

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى- في (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) : (ويقـولون : نحن ننزه الله تعالى عن الأعـراض والأغـراض والأبعـاض والحـدود والجـهات وحـلـول الحوادث، فيـسمع الغِرُّ المخـدوع هذه الألفاظ فيـتوهم منهـا أنهم ينزهـون الله عمـا يفهم من مـعانيها عـند الإطلاق من الـعيوب والنقائص والحاجة ، فلا يشك أنهم يمجدونه ويعظمونه، ويكشف الناقد الـبصير ما تحت هذه الألـفاظ فيرى تحتها الإلحـاد وتكذيب الرسل وتعطـيل الرب تعالى عما يسـتحقه من كماله ، فتـنزيههم عن الأعراض هـو جحد صفاتـه كسمعه وبـصره وحياته وعـلمه وكلامه وإرادته فـإن هذه أعراض له عندهم لا تقـوم إلا بجسم ، فلو كان متصـفًا بها لكان جسمًا وكانت أعراضًـا له وهو منزه عن الأعراض .

وأما الأغـراض فهي الغـاية والحكمـة التي لأجـلها يخـلق ويفعـل ويأمر وينهـى ويثيب ويعـاقب ، وهي الغايـات المحمودة المطلوبة من أمره ونهيه وفعله فيسمونها أغراضًا منه وعللاً ينزهونه عنها .

وأما الأبعاض فمـرادهم بتنزيهه عنها أنـه ليس له وجه ولا يدان ولا يمسك السموات على أصبع والأرض على أصبع والشجر على أصبع والمـاء على أصبع فإن ذلك كله أبعـاض ، والله منزه عن الأبعاض .

وأما الحدود والجهات فـمرادهم بتنزيهه عنهـا أنه ليس فوق السمـوات رب ولا على العرش إله ولا يـشار إليه بالأصـابع إلى فوق - كمـا أشار إليه أعلم الخـلق به - ولا ينزل مـنه شيء ولا يصـعد إليه شـيء ، ولا تعرج الملائـكة والروح إليـه ، ولا رفع المسيـح إليه ، ولا عرج برسولـه محمد ﷺ إليـه ، إذ لو كان كذلك لزم إثبات الحدود والجهات ، وهو منزه عن ذلك .

وأما حـلول الحوادث فـيريـدون به أنه لا يـتكلـم بقـدرته ومشيـئته، ولا ينـزل كل ليلـة إلى سماء الـدنيا ، ولا يأتـي يوم القيامة ولا يجيء ، ولا يغضـب بعد أن كان راضيًا ، ولا يرضى

بعد أن كان غضبانًا ولا يقوم به فعل البتة ، ولا أمر مجدد بعد أن لم يكن ولا يريد شيئًا بعد أن لـم يكن مريدًا له، فلا يقول له كن حقـيقة ولا استـوى على عرشـه بعد أن لم يـكن مستـويًا ، ولا يغضب يوم القيـامة غضبًا لم يغضب قبله مثلـه ولن يغضب بعده مثله ، ولا ينادي عـباده يوم القيامة بعد أن لم يكـن مناديًا لهم ، ولا يقـول للمـصلـي إذا قال : ﴿ الحَمْـدُ للَّه رَبِّ الـعَالَـمينَ﴾ . حمدني عبدي ، فإذا قال : ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قال : أثنى علي عبدي، فإذا قال : ﴿ مَالكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قال: مجدني عبدي[1] ، فإن هذه كلها حوادث ، وهو منزه عن حلول الحوادث).

إلى أن قال : (واعلـم أن لفظ الجسم لم ينطـق به الوحي إثباتًا فيكون لـه الإثبات ، ولا نفيًا فيكون له النفـي ، فمن أطلقه نفيًا أو إثبـاتًا سئل عما أراد ، فإن قال : أردت بالجسـم معناه في لغة العرب وهو البدن الكثيف الذي لا يسمى في اللغة جسم سواه

---

(١) قطعـة من حديث أخـرجه مالك (٨٤١) والإمـام أحمد (٢/ ٢٤١ ، ٤٥٧، ٤٧٨) ومسلم (٣٩٥) وأبـو داود (٨٢١) والترمذي (٢٩٥٣) والنسـائي (٢/ ١٣٥) وعبد الرزاق (٢٧٦٨) وابـن ماجـة (٣٧٨٤) وابن أبـي شيـبة (١/ ٣٦٠) وابـن خزيمـة (٥٠٢) والبغوي (٥٧٨) .

فلا يقال للهواء جسم لغة ولا للنار ولا للماء فهذه اللغة وكتبها بين أظهرنا ، فهذا المعنى منفي عن الله عقلاً وسمعًا .

وإن أردتم به المركب من المادة والصورة ، والمركب من الجواهر المفردة ، فهذا منفي عن الله قطعًا والصواب نفيه عن الممكنات أيضًا فليس جسم المخلوق مركبًا من هذا ولا من هذا، وإن أردتم بالجسم ما يوصف بالصفات ، ويرى بالأبصار ويتكلم ويُكَلِّم ويسمع ويبصر ويرضى ويغضب، فهذه المعاني ثابتة لله تعالى ، وهو موصوف بها، فلا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسمًا) إلى أن قال : (وإن أردتم بالجسم ما يشار إليه إشارة حسية فقد أشار أعرف الخلق به بأصبعه رافعًا بها إلى السماء بمشهد الجمع الأعظم مستشهدًا له لا للقبلة، وإن أردتم بالجسم ما يقال له أين، فقد سأل أعلم الخلق به عنه بأين منبهًا على علوه على عرشه، وسمع السؤال بأين وأجاب عنه، ولم يقل : هذا السؤال إنما يكون عن الجسم وإنه ليس بجسم ، وإن أردتم بالجسم ما يلحقه (من) و (إلى) فقد نزل جبرائيل من عنده وعرج برسوله إليه ، وإليه يصعد الكلام الطيب ، وعبده المسيح رفع إليه . وإن أردتم بالجسم ما يتميز منه أمر غير أمر فهو سبحانه موصوف

بصفات الكمال جميعها من السمع والبصر، والعلم والقدرة والحياة ، وهذه صفات متميزة متغايرة ومن قال : إنها صفة واحدة فهو بالمجانين أشبه منه بالعقلاء وقد قال أعلم الخلق به : « أعوذ برضاك من سخطك »[1] . الحديث ، قال : وأما استعاذته ﷺ به منه باعتبارين مختلفين ، فإن الصفة المستعاذ بها والصفة المستعاذ منها صفتان لموصوف واحد ورب واحد ، فالمستعيذ بإحدى الصفتين من الأخرى مستعيذ بالموصوف بهما منه ، وإن أردتم بالجسم ما له وجه ويدان وسمع وبصر فنحن نؤمن بوجه ربنا الأعلى،وبيديه وبسمعه وبصره وغير ذلك من صفاته التي أطلقها على نفسه ، وإن أردتم بالجسم ما يكون فوق غيره ومستويًا على غيره ، فهو سبحانه فوق عباده مستوٍ على عرشه .

وكذلك إن أردتم بالتشبيه والتركيب هذه المعاني التي دل عليها الوحي والعقل ، فنفيكم لها بهذه الألقاب المنكرة خطأ في اللفظ والمعنى وجناية على ألفاظ الوحي ، أما الخطأ اللفظي

(١) أخرجه الإمام مالك (١/ ٢١٤) والإمام أحمد (٦/ ٢٠١) ومسلم (٤٨٦) والترمذي (٣٤٩٣) والنسائي (٢/ ٢١٠) وعبد الرزاق (٢٨٨١) وابن خزيمة (٦٥٥) في الصحيح والبغوي (١٣٦٦) والبيهقي (١٢٧١) في السنن والطحاوي (١/ ٢٣٤) في شرح مشكل الآثار .

فتسميتكم الموصوف بذلك جسمًا مركبًا مؤلفًا مشبهًا بغيره ، وتسميتكم هذه الصفات تركيبًا وتجسيمًا وتشبيهًا فكذبتم على القرآن وعلى الرسول وعلى اللغة ووضعتم لصفاته ألفاظًا ، منكم بدأت وإليكم تعود ، وأما خطؤكم في المعنى فنفيكم وتعطيلكم لصفات كماله بواسطة هذه التسمية والألقاب ، فنفيتم المعنى الحق وسميتموه بالاسم المنكر) .

إلى أن قال : (وكذلك إذا قال الفرعوني: لو كان على السموات رب أو على العرش إله لكان مركبًا ، قيل له لفظ المركب في اللغة هو الذي ركبه غيره في محله كقوله تعالى : ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[1] ،وقولهم : ركبت الخشبة والباب وما يركّب من أخلاط أجزاء بحيث كانت أجزاؤه مفرقة فاجتمعت وركبت حتى صار شيئًا واحدًا كقولهم : ركبت الدواء من كذا وكذا ، وإن أردتم بقولكم : لو كان فوق العرش كان مركبًا هذا التركيب المعهود وأنه كان متفرقًا فاجتمع، فهو كذب وفرية وبهت على الله وعلى الشرع وعلى العقل ، وإن أردتم أنه لو كان فوق العرش لكان عاليًا على خلقه بائنًا منهم مستويًا على

(١) سورة الانفطار : ٨ .

عرشه ليس فوقه شيء ، فهذا المعنى حق ، فكأنك قلت : لو كان فوق العرش لكان فوق العرش ، فنفيت الشيء بتغيير العبارة وقلبها إلى عبارة أخرى ، وهذا شأنكم في أكثر مطالبكم .

وإن أردتم بقولكم: «كان مركبًا» أنه يتميز منه شيء عن شيء فقد وصفته أنت بصفات يتميز بعضها من بعض ، فهل كان عندك هذا تركيبًا ؟ فإن قلت : هذا لا يقال لي وإنما يقال لمن أثبت شيئًا من الصفات ، فأما أنا فلا أثبت له صفة واحدة فرارًا من التركيب، قيل لك : العقل لم يدل على نفي المعنى الذي سميته أنت مركبًا ، وقد دل الوحي والعقل والفطرة على ثبوته ، أتنفيه بمجرد تسميتك الباطلة ؟ فإن التركيب يطلق ويراد به خمسة معان:

الأول : تركيب الذات من الوجود والماهية عند من يجعل وجودها زائدًا على ماهيتها فإذا نفيت هذا جعلته وجودًا مطلقًا ، إنما هو في الأذهان لا وجود له في الأعيان .

الثاني : تركيب الماهية من الذات والصفات ، فإذا نفيت هذا التركيب جعلته ذاتًا مجردة عن كل وصف لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم ولا يقدر ولا يريد ولا حياة له ولا مشيئة ولا صفة

أصلاً، فكل ذات في المخلوقات من هـذه الذات ، فاستفدت بهذا التركيب كفرك بالله وجحدكَ لذاته ولصفاته وأفعاله .

الثالث : تركيب الماهية الجسميـة من الهيولي والصورة كما يقوله الفلاسفة .

الرابع : التركيب من الجواهر المفردة ، كـما يقوله كثير من أهل الكلام .

الخامس : تركيب الماهية من أجزاء كانت متفرقة فاجتمعت وتركبت ، فإن أردت بقولك لو كان فـوق العرش لكان مركبًا كما يدعيه الفلاسفة والمتكلمون قـيل لك : جمهور العقلاء عندهم أن الأجسام المحدثة المخلوقة ليـست مركبة لا من هذا ولا من هذا ، فلو كان فـوق العرش جسم مخـلوق ومحدث لم يلـزم أن يكون مركبًا بهذا الاعـتبار ، فكيف ذلك في حق خالـق الفرد والمركب الذي يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ويؤلف بين الأشياء فيركبها كما يشاء؟ والعقل إنما دل علـى إثبات إله واحد ورب واحد لا شريك له ولا شبيه لـه لم يلد ولم يولد ، ولم يـدل على أن ذلك الرب الواحد لا اسم له ولا صفة ولا وجه ولا يدين ولا هو فوق خلقه ولا يصعـد إليه شيء ولا يـنزل منه شـيء ، فدعوى ذلك عـلى

العقل كذب صريح عليه ، كما هي كذب صريح على الوحي ، وكذلك قولهم : ننزهه عن الجهة إن أردتم أنه منزه عن جهة وجودية تحيط به وتحويه إحاطة الظرف بالمظروف ، فنعم ، هو أعظم من ذلك وأكبر وأعلى ، ولكن لا يلزم من كونه فوق عرشه هذا المعنى .

وإن أردتم بالجهة أمرًا يوجب مباينة الخالق للمخلوق وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه ، فنفيكم بهذا المعنى باطل وتسميته جهة ، وقلتم : منزه عن الجهات وسميتم العرش حيزًا وقلتم : ليس بمتحيز وسميتم الصفات أعراضًا وقلتم : الرب منزه عن الأعراض ، وسميتم كلامه بمشيئته ونزوله إلى سماء الدنيا ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بمشيئته وإرادته المقارنة لمرادها وإدراكه المقارن لوجود المدرك وغضبه إذا عصي، ورضاه إذا أُطيع وفرحه إذا تاب إليه العباد، ونداءه لموسى حين أتى الشجرة، ونداءه للأبوين حين أكلا من الشجرة، ونداءه لعباده يوم القيامة ومحبته لمن كان يبغضه حال كفره ثم صار يحبه بعد إيمانه ، وربوبيته التي هو كل يوم هو في شأن (حوادث) وقلتم هو منزه عن حلول الحوادث وحقيقة هذا التنزيه أنه متنزه عن الوجود وعن الربوبية

وعن الملك وعن كونه فعالاً لما يريد بل عن الحياة والقيُّومية .

فانظر ماذا تحت تنـزيه المعطلة النفاة بقولهـم : ليس بجسم ولاجـوهر ولا مـركب ولا تـقـوم به الأعـراض ، ولا يوصـف بالأبـعاض ولا يفعـل بالأغراض ولا تحـله الحوادث ولا تحيـط به الجهات ولا يـقال في حقـه أين ، وليس بمتـحيز ، كيـف كسوا حقائـق أسمائه وصفاتـه وعلوه على خلـقه واستوائه علـى عرشه وتكليمه لخلقه ورؤيتهم له بالأبصار في دار كرامته ، هذه الألفاظ ثم توسلوا إلى نفيها بواسطتها وكفروا وضللوا من أثبتها واستحلوا منه ما لـم يستحلوه من أعداء الـله من اليهود والنصـارى ، فالله الموعد وإليه التحاكم ، وبين يديه التخاصم.

نـحـن وإيـاهـم نـمـوت ولا

أفلح يوم الحساب من ندما) .

انتهى .

وقال شيخ الإسلام ، الشيخ محمـد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - فـي رسالته إلى عبد الـله بن سحيم، وقد طـلب منه أن يذكر له شيئًا من معنى كتـاب المويلس ، فقال - رحمه الله - في الجواب بعد كلام لـه : (وذلك أن كتابه مشتمل عـلى الكلام في

ثلاثة أنواع من العلوم :

الأول : علم الأسماء والصفات الذي يسمى علم أصول الدين ، ويسمى أيضًا العقائد .

والثاني : الكلام على التوحيد والشرك .

والثالث: الاقتداء بأهل العلم واتباع الأدلة وترك ذلك .

أما الأول : فإنه أنكر على أهل الوشم إنكارهم على من قال : ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ، وهذا الإنكار جمع بين اثنتين

إحداهما : أنه لم يفهم كلام ابن عيدان وصاحبه .

الثانية : أنه لم يفهم صورة المسألة ، وذلك أن مذهب الإمام أحمد وغيره من السلف أنهم لا يتكلمون في هذا النوع إلا بما تكلم به الله ورسوله ، فما أثبته الله لنفسه وأثبته رسوله أثبتوه، مثل الفوقية والاستواء والكلام والمجيء ، وغير ذلك وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ نفوه مثل المثل والند والسمي وغير ذلك ، وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله إثباته ولا نفيه مثل الجوهر والعرض والجهة وغير ذلك لا يثبتونه، فمن نفاه مثل صاحب الخطبة التي أنكرها ابن عيدان وصاحبه، فهو عند أحمد

والسلف مبتدع ، ومن أثبته مثل : هشام بن الحكم وغيره فهو عندهم مبتدع ، والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع اقتداءً بالنبي ﷺ وأصحابه . . - إلى أن قال - : وأنا أذكر لك كلام الحنابلة في هذه المسألة).

قال الشيخ تقي الدين ، بعد كلام له على من قال : إنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ككلام صاحب الخطبة ، قال - رحمه الله تعالى - : (فهذه الألفاظ لا يطلق إثباتها ولانفيها كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة ، ونحو ذلك من الألفاظ ، ولهذا لما سئل ابن سريج عن التوحيد فذكر توحيد المسلمين وقال: وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجواهر والأعراض ، وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك، وكلام السلف والأئمة في ذم الكلام وأهله مبسوط في غير هذا الموضع . والمقصود أن الأئمة كأحمد وغيره إذا ذكر لهم أهل البدع الألفاظ المجملة ، كلفظ : الجسم والجوهر والحيز لم يوافقوهم ، لا على إطلاق الإثبات ولا على إطلاق النفي) . انتهى كلام الشيخ تقي الدين .

إذا تدبرت هذا عرفت أن إنكار ابن عيدان وصاحبه على الخطيب الكلام في هذا هو عين الصواب ، وقد اتبعا في ذلك

إمامهما أحمد بن حنبل وغيره في إنكارهم ذلك على المبتدعة، ففهم صاحبكم أنهما يريدان إثبات ضد ذلك ، وأن الله جسم وكذا وكذا ، تعالى الله عن ذلك ، وظن أيضًا أن عقيدة أهل السنة هي نفي أنه لا جسم ولا جوهر ولا كذا، ولا كذا وقد تبين لكم الصواب أن عقيدة أهل السنة هي السكوت ، مَن أثبت بدَّعوه، ومن نفى بدَّعوه ، فالذي يقول ليس بجسم ولا . . . ولا . . . هم الجهمية والمعتزلة ، والذين يثبتون ذلك هو هشام وأصحابه والسلف بريئون من الجميع من أثبت بدَّعوه ، ومن نفى بدَّعوه ، فالموليس لم يفهم كلام الأحياء ولا كلام الأموات ، وجعل النفي الذي هو مذهب الجهمية والمعتزلة مذهب السلف وظهر أن من أنكر النفي أنه يريد الإثبات كهشام وأتباعه ولكن العجب من ذلك استدلاله على فهمه بكلام أحمد المتقدم .

ومن كلام أبي الوفاء ابن عقيل قال : (أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا وما عرفا الجوهر والعرض ، فإن رأيت أن طريقة أبي علي الجبائي أو أبي هشام خير لك من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت) انتهى .

وصاحبكم يدعي أن الرجل لا يكون من أهل السنة حتى

يتبع أبا علي وأبا هشام بنفي الجوهر والعرض ، فمن أنكر الكلام فيهما مثل أبي بكر وعمر فهو عنده على مذهب هشام الرافضي . فظهر بما قررناه أن الخطيب الذي يتكلم بنفي العرض والجوهر أخذه من مذهب الجهمية والمعتزلة ، وأن ابن عيدان وصاحبه أنكرا ذلك مثل ما أنكره أحمد والعلماء كلهم على أهل البدع . انتهى.

فتأمل - رحمك الله - ما تحت إطلاق هذه الألفاظ المبتدعة المخترعة التي خالف من وضعها سلف الأمة وأئمتها واغتر بها من حسن ظنه بهؤلاء الذين قلدوا من ابتدعها من المتكلمين ، الذين ليس لهم قدم صدق في العالمين ، حيث أرادوا بها التنزيه ، ووقعوا في التعطيل والتشبيه ، فساروا على مناهجهم من غير دليل ولا برهان من الكتاب والسنة ، ولا كلام أحد من الأئمة ، فالله المستعان .

وتأمل ما ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب حيث قال : (فمن نفاه - مثل صاحب الخطبة التي أنكرها ابن عيدان وصاحبه - فهو عند أحمد والسلف مبتدع والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع اقتداء بالنبي ﷺ وأصحابه... إلى أن قال : وقد تبين لكم الصواب أن عقيدة أهل السنة هي السكوت ،

من أثبت بـدَّعوه ومن نفى بدَّعوه ، فـالذين يقولون ليـس بجسم ولا. . . ولا . . . هم الجهمية والمعتزلة ، والذين يثبتون ذلك هو هشام وأصحابه ، والسلف بريئون من الجميع ، من أثبت بدَّعوه، ومن نفى بدَّعوه. .) إلى آخر كلامه، رحمه الله تعالى.

ومنها ما ذكره الناظم بقوله :

وإن ما جـاء مع جبريل

مـن محكم القرآن والتنزيل

كلامه سبـحانـه قـديـم

أعيا الورى بالنص يـا عليم

فقوله : (كلامه سبحانه قـديم) هو من جنس ما قبله من الألفاظ المبتدعة المخترعة التي لم يـنطق بها سلف الأمة وأئمتها ، والذي عليـه أهل السنة والجمـاعة المخالفون لأهل الـبدع أن كلام اللـه سبحـانه وتعـالى حادث الآحاد قـديم النوع ، وأنـه يتكـلم بمشيئـته وقدرته إذا شاء لا يمتنـع عليه شيء أراده وأن اللـه تعالى متصف بالأفـعال الاختيارية القائمـة به فهو سبحانه قـد تكلم في الأزل بما شاء ويتـكلم فيما لم يـزل بقدرته ومشيئـته بما أراد وهو الفـعال لما يـريد ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن

﴿فَيَكُونُ﴾[1] وأهل البدع المخالـفون للسلف ينفـون ذلك، ويسمون هذه الأفعال الاختيارية القائمة به سبحانه وتعالى حلول الحوادث، والله لا يكون محـلاً للحـوادث ، ويريدون بـهذا أن لا يتكـلم بقدرته ومشيئته .

ولا ينزل كل ليـلة إلى سماء الدنيا ولا يأتي يـوم القيامة، ولا يجيء ولا يـغضب بعد أن كـان راضيًا ، ولا يرضـى بعد أن كان غضبـانًا ، ولا يقوم به فعـل البتة ولا أمر مجـدد بعد أن لم يكن ولا يـريد شيئًا بـعد أن لم يكن مـريدًا له فلا يقـول له كن حقيـقة، ولا استوى علـى عرشه بعـد أن لم يكن مسـتويًا ، ولا يغضب غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولا ينـادي عباده يـوم القـيامة بـعد أن لم يـكن مـناديًا ، ولا يـقول للمصلي إذا قال:

﴿ الحَمْدُ للَّه رَبِّ الـعَالَمِينَ ﴾ حمدني عـبدي ، فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قَالَ : أَثْنَى علـي عبدي ، فإذَا قال: ﴿مَالك يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قال : مجدنـي عبدي [2] فإن هذه كلـها حوادث،

(١) سورة يس : ٨٢ .

(٢) سبق تخريجه .

وهو منزه عـن حلول الحوادث كما تـقدم بيان هذا وإيضـاحه في كلام ابن القـيم - رحمه الله - وقال فـي الكافية الشافـية لما ذكر أقوال أهل البدع المخالفين لأهل السنة :

والآخرون أولو الحديث كأحمد
ذاك ابـن حنـبل الرضي الشيباني

قـد قـال : إن الـله حقّاً لم يـزل
متـكلـمًا إن شـاء ذو إحسـان

جـعل الكلام صفات فعل قـائم
بالذات لم يفقد من الرحمن

وكذاك نص على دوام الفعل بالإ
حسـان أيـضًا فـي مكان ثان

وكـذا ابـن عبـاس فـراجع قـوله
لمـا أجاب مسائـل الـقـرآن

وكـذاك جـعفر الإمـام الصادق الـ
مقبول عند الخلق ذو العرفان

قد قال لم يزل المهيمن محسنًا
برًّا جـوادًا عنـد كـل أوانِ

إلى آخر كلامه ، فإنه قد أجاد فيه وأفاد فراجعه فيها ، وأما ما ذكره في القول السديد في الأبيات التي نسبها لشيخ الإسلام - قدس الله روحه - إن صح النقل بذلك عنه حيث قال :

وأقول في القرآن ما جاءت به

آيـاتـه فـهـو الـقديم الـمنزل

فهذا القول إن صح لا ينافي كونه سبحانه يتكلم فيما لم يزل بقدرته ومشيئته ، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ، خلافًا لأهل الكلام من المبتدعة وغيرهم ، والله أعلم .

ومنها ما ذكره في صفحة أربع وعشرين ، وهو أخف مما قبله خطرًا لما ذكر المهدي وأنه قد ورد فيه أحاديث كثيرة لم يثبت منها حديث واحد ، فاعلم يا أخي أنك ذكرت هذا القول جازمًا به من غير علة ذكرتها تقدح في هذه الأحاديث عن عالم من علماء أهل الجرح والتعديل الذين يعتد بهم في هذا الباب وقد ذكر هذه الأحاديث أبو عيسى الترمذي في جامعه وهو إمام فاضل من أئمة أهل الجرح والتعديل فقال - رحمه الله تعالى - :

باب ما جاء في المهدي

حدثنا عبيد بن أسباط بن محمد القرشي أنبأنا أبي أنبأنا سفيان الثوري عن عاصم بن بهدلة عن زر عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي »[١] وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة : هذا حديث حسن صحيح .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٣١) و (٢٣٣٢) .

قلت : وأحاديث المهدي أحاديث ثابتة متواترة ، رواها جمع من الصحابة عن النبي ﷺ لعلهم يبلغون عشرين صحابياً ، فخروجه لا شك ولا ريب في ذلك ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، ولقد أنكر بعض من ينتسب إلى العلم خروج المهدي في آخر الزمان ، واحتج بعضهم بأن الأحاديث التي جاءت فيه ليس في الصحيحين منها شيء ، وغير ذلك من الترهات والأباطيل ، التي أتى عليها جميعًا وجعلها قاعًا صفصفًا، شيخ مشايخنا العلامة الأثري حمود بن عبد الله التويجري - رحمه الله - في كتابه النافع الموسوم بـ« الاحتجاج بالأثر في الرد على من أنكر المهدي المنتظر » وهو مهدي أهل السنة والأثر ، لا مهدي سرداب الروافض ولا الخوارج ، وهذه عقيدة ثابتة ندين الله سبحانه وتعالى بها، وينبغي على من رام السلامة والنجاة ، أن يقف حيث وقف القوم ، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا ، كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - فالله الله في الثبات على الإسلام والسنة ، والاعتصام بآثار السلف ، والحمد لله في الأولى والأخرى .

حدثنا عبد الجبار بن العلاء العطار أنبأنا سفيان بن عيينة عن عاصم عن زر عن عبد الله عن النبي ﷺ قال : « يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي » قال عاصم وأنبأنا أبو صالح عن أبي هريرة قال : لو لم يبق من الدنيا إلا يومًا لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يلي »[1] . هذا حديث حسن حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر أنبأنا شعبة قال سمعت زيدًا العمي قال : سمعت أبا الصديق الناجي يحدث عن أبي سعيد الخدري قال : خشينا أن يكون بعد نبينا حدث، فسألنا نبي الله ﷺ قال : «إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمسًا أو سبعًا أو تسعًا » زيد الشاك، قال : قلنا : وما ذاك ؟ قال : « سنين » قال : فيجيء إليه الرجل فيقول : يا مهدي أعطني ، قال : فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله »[2] هذا حديث حسن وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي ﷺ ، وأبو الصديق الناجي اسمه بكر بن عمر ، ويقال : بكر بن قيس) .

فهذا ما ذكره الإمام أبو عيسى الترمذي جازمًا بصحة هذه

---

(١) الهامش السابق

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٣٣) وانظر الحاشية التي قبلها .

الأحاديث ، وأنـت لم تذكر لأحاديـث المهدي علة عـن أحد من العلمـاء على عدم ثبوتهـا إلا مجرد الدعوى من غـير برهان ولا دليل ، والمثبت مقدم على النافي ، وإذا صح الخبر عن رسول الله ﷺ وجزم بـذلك إمـام من أئمـة أهل الحـديث وجب عـلينا التصديق به والإيمان به وأنه حق كائن لا محالة ، وأحاديث رسول الله ﷺ الثابتة عنه أجلُّ في صـدورنا من أن نعارضها بما يذكره ابن خلدون وأمثاله ونعارض ما صححه الإمام الترمذي بأمثال ابن خلـدون من لا يؤبه لـه ولا يعد مـن العلـماء الأفاضل والأئـمة الأماثل ، بل ذكر لي بعض الإخوان أنه إخباري صاحب تاريخ ، قد شحن مقدمـته بالطلاسم وأخبار المنجمين ، هـذا ما حدثني به من لا أتهمه في حديثه ، وأنا ما رأيـت شيئًا من كتبه ولا أعرفها والله أعلـم ، وقد ذكر أبو داود هذه الأحاديث في سـننه ، ولم يذكر لها علة ولا جرحها بشيء من الأمور التي تقدح فيها .

ومنها ما ذكره في صفحة تسع وسبعين في الأبيات التي ذكر فيهـا مفاخرة علـي رضي الله عنـه قال : ومما نسب إلـى علي - رضي الله عنه - .

محمد النبي أخـي وصـهري

وحـمزة سيـد الشهداء عـمي

وجعفر الذي يمسي ويضحي

يطير مع الملائكة ابن أمي

وبنت محمد سكني وعرسي

مسوط لحمها بدمي ولحمي

وسبطا أحمد ابناي منها

فأيكم له سهم كسهمي

سبقتكم إلى الإسلام طرًا

غلامًا ما بلغت أوان حلمي

فهذه المفاخرة التي ذكرها الشارح لم يذكرها عن علي - رضي الله عنه - بسند صحيح ولا حسن ولا ضعيف ، ولا عزاها إلى شيء من الكتب المعتمدة ، ولا ذكرها عن أحد من أئمة أهل الحديث ولا غيرهم ، فالأشبه بها أن تكون من أوضاع الرافضة .

والصحابة - رضي الله عنهم - لم يكن من هديهم وأخلاقهم التفاخر بينهم بالأحساب والأنساب بل كان السلف - رضوان الله عليهم - ينهون عن الفخر والخيلاء والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق ، كما هو مذكور في عقائد أهل السنة والجماعة ، وعلي- رضي الله عنه - أخشى لله وأتقى له من أن

يفتخر بهـذه المفاخرة على أحد من الصحابة -رضـي الله عنهم - على ما ذكره الـرافضي أنه افتخر بذلك عـلى أهل الشورى ، أو على معـاوية لما بلغتـه مفاخرته كمـا ذكره السفاريـنـي ، وقد قال تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[(١)] وإنما كانوا يتفـاضلون ويذكرون بالتقوى ، كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[(٢)] وإذا كان من المعلوم أنهم ما كانوا يتفاخرون بأحسابهم وبأنسابـهم بل كان ذلك من أمـر الجاهلية، وقد أذهـب الله ذلك بالإسلام كما في الحديث الذي رواه الـترمذي وحسنه، وفيه: «إن الله أذهب عنكم عبية الجاهليـة وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي أو فاجـر شقي ، الـناس مـن آدم وآدم خلق مـن تراب»[(٣)] وعن عياض ابن حمار مرفوعًا : «إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا

---

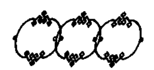
(١) سورة البقرة : ١٣٤، ١٤١.

(٢) سورة الحجرات : ١٣ .

(٣) أخرجـه الترمذي (٣٣٢٤) وأبـو داود الطيالـسي في مـسنده ، وابن أبـي حاتم ، والبيهقي في شعب الإيمان . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

حتى لا يفخر أحد على أحد » رواه مسلم [1] فإذا تبين لك هذا، ففضائل علي - رضي الله عنه - ومناقبه مشهورة مذكورة لا تخفى على أهل العلم ، فالعدول عنها إلى هذه المفاخرة التي لم تذكر في شيء عن الكتب المعتمدة من الغفلة التي لا ينبغي لمن نصح نفسه وأراد نجاتها أن تنسب إليه ويذكر بها ، فالله المستعان.

ثم إني بعد ما حررت هذه الكلمات رأيت ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - في منهاج السنة على أصل هذه الأبيات التي وضعها بعض الكذابين فنظمها من نظمها ونسبها لعلي - رضي الله عنه - فقال رحمه الله تعالى:



(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٥٣) ومسلم (٢١٩٩) وأبو داود (٤٨٩٥) وابن ماجة (١٣٩٩) وأبو نعيم في الحلية (١٧/٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٧٨/٢).

الفصل الحادي عشر

قال الرافضي : وعن عامر بن واثـلة قال : كنت مع علي وهو يقـول لهم : لأحتجنَّ عـليكم بما لا يـستطيع عربـيكم ولا عجميكم تغبير ذلك، ثم قال : أنشـدكم بالله أيها النفر جميعًا ، أفيـكم أحد وحَّدَ الـله تعالـى قبلي ؟ قـالوا : اللهـم لا، قال : أنشدكم بالله هل فيكم أحد له أخ مثل أخي جعفر الطيار في الجنة مع الملائكة غيري ؟ قالوا : اللهـم لا ، قال : فأنشدكم بالله هل فيكـم أحد له عم مثـل عمي حمزة أسـد الله وأسد رسولـه سيد الشهداء غـيري ؟ قالوا : اللهـم لا . قال : فأنشدكم بـالله هل فيكم أحـد له زوجة مثل زوجتي فاطـمة بنت محمد سـيدة نساء أهل الجنـة غيري ؟ قالوا : الـلهم لا . قال فـأنشدكم بالـله هل فيكم من له سبطان مثل سبـطي الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة غيري ؟ قالوا: اللهم لا .

- وذكر أشياء أخـرى غير هذا اقتصـرنا منها علـى ما ذكره منها صاحب النظم . فـقال شيخ الإسلام في جوابه : أما قوله عن عامر بن واثلة وما ذكره يوم الشـورى فهذا كذب باتفاق أهل

المعرفة بالحديث، ولم يقل علـي - رضي الله عنه - يوم الشورى شيئًا من هـذا ولا ما يشابهه . .- ثم ذكر كـلامًا إلى أن قال : - وفي هذا الحـديث الذي ذكره هذا الـرافضي أنواع مـن الأكاذيب التي نزه الله تعالى عليّاً عنها مثل احتجاجه بأخيه وعمه وزوجته، وعلي - رضي الله عنه - أفضـل من هؤلاء ، وهو يعلم أن أكرم الخلق عند الله أتقاهم ولو قال العباس : هل فيكم أحد مثل أخي حمزة ومثل أولاد أخي - أي محمد وعلي وجعفر - لكانت هذه الحجة من جنس تلك، بل احتجاج الإنسان ببني إخوته أعظم من احتجاجه بعمه ولو قال عثمـان : هل فيكم من تزوج بنتي نبي ، لكان من جنس قول القائل : هل فـيكم من زوجته مثل زوجتي، وكانت فاطمة قد ماتت قبل الشورى ، كما ماتت زوجتا عثمان ، فإنها ماتت بعد موت النبي ﷺ بستة أشهر ، وكذلك قوله هل فيكم أحد له ولد كولدي، وفيـه أكاذيب متعددة) . .إلى آخر ما ذكر - رحمه الله تعالى - .

هذا ملخص ما ذكر الشيخ في المنهاج في الجزء الثالث في صفحة خمسة عشر . ولكن العجـب كل العجب أنك لما ذكرت أحاديث المهدي ذكرت أنه لم يثبت فيـها حديث واحد، وقد تقدم ما ذكره

حفاظ أهـل الحديث كأبي داود وأبي عـيسى الترمذي مـن تحسين أحاديث المهدي وتصحيحها ، وذكرت ما ذكرت من أنه لا يجب اعتـقاد مجـيء هذا المهدي ولا نـدين اللـه به ، ثم ذكـرت هذه المفاخرة المكذوبة الموضوعة التي لا أصل لها ، فذكرتها في فضائل علي ومنـاقبه وأقررتها ، فـكان الحق والواجب علـى مثلك أن لا تذكر هذه الأبيات الموضوعة المـكذوبة ، وأن لا تذكر في أحاديث المهدي إلا ما ذكره أهل الحديث الـذين هم القدوة وبهم الأسوة ، وحسبك السير على منهاجهم فإنهم كانوا على الصراط المستقيم ، والمنهج القويم ، ومن عداهم من أهل الكلام الذين فارقوا به أئمة أهل الإسلام فإنما يأخـذون بمقاييس عقولهم وآرائهـم ، وقد تبعوا في ذلك أهواء قـوم قد ضلوا من قبـل وأضلوا كثيراً وضـلوا عن سواء السبيل .

واعلم يـا أخي أني ما كـتبت لك إلا ما قـاله المحققـون من أهل العلم الذين هم أئمة هذا الشأن من سادات الحنابلة وأئمتهم الذين ينفون عن دين اللـه تحريف الغالين وانتحال المبطلـين ، ليتبين لك طريقة السلف الصالح والصدر الأول ، فعض عليه بالنواجذ، ولا يكن في صدرك حرج منه ، فإنه الحق .

وقد تركت أشيـاء مما ذكره المعترض في ورقتـه ، إما لسوء فهمه أو لعدم معرفتـه واطلاعه ، وأمورًا أخر لم أرفع بها رأساً ، ولم أكتـب لك إلا ما وقفـت عليه مزبـوراً في الشرح ، فـاعلم ذلك، وبالله التوفيق ، وبه الثقة والعصمة .



فصل

إذا تبين لـك ما قدمتـه لك من كلام عـلماء[(١)] المحققين، وكان المقصود هو ظهـور الحق وبيانه فهنا أشياء أخر يجـب التنبيه عليها ولا ينبغي السكوت عنها .

منهـا قوله في الصـفحة الثمـانية عشرة، قـول الشارح : فيجـب على كل مكلـف أن يعرف الله تـعالى بصفات الـكمال، ويجزم بأنـه سبحانه واحد لا يـتجزأ ولا ينقسـم ، أحد ، لا من عدد ، فرد صمد ، إلى آخره ، فأقول وبالله التوفيق :

اعلم أن قـول القائل : ويـجزم بأنه - سـبحانه وتـعالى - واحد لا يتجزأ ولا ينـقسم ، قول مبتدع مخترع لـم يقله أحد من السلـف - رضوان الله علـيهم - وليـس مذكوراً في عقـائد أهل السـنة والجماعـة ، بل هو من جـنس ما يـذكره أهل البـدع من قولهـم: ليس بجوهـر ولا عرض ولا جسم ، وليـس له أعراض ولا أغراض ولا أبعاض إلـى غير ذلك مما خالفوا بـه سلف الأمة وأئمتها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - في كتابه

(١) كذا في النسخة ، ولعل أصله : العلماء أو علمائنا .

المسمى بالعقل والنقل الذي قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - فيه :

واذكر كتاب العقل والنقل الذي
ما في الوجود له نظير ثان

قال بعد كلام له :(وكثير من أهل الكلام يقول : التوحيد له ثلاث معانٍ ، وهو واحد في ذاته لا قسيم له ولا جزء له ، وواحد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له ، وهذا المعنى الذي تتناوله هذه العبارة فيها ما جاء به الرسول ﷺ وفيها ما يخالف ما جاء به الرسول - فذكر كلامًا حسنًا إلى أن قال : - فإنهم إذا قالوا :لا قسيم له ولا جزء له ولا شبيه له ، فهذا اللفظ وإن كان يراد به معنى صحيح ، فإن الله ليس كمثله شيء ، وهو سبحانه لا يجوز عليه أن يتفرق ولا يفسد ، ولا يستحيل ، بل هو أحد صمد، والصمد الذي لاجوف له، وهو السيد الذي كمل سؤدده ، فإنهم يدرجون في هذه نفي علوه على خلقه ومباينته لمصنوعاته ، ونفي ما ينفونه من صفاته ويقولون : إن إثبات ذلك يقتضي أن يكون مركبًا منقسمًا وأن يكون له شبيه وأهل العلم يعلمون أن مثل هذا لا يسمى في لغة العرب التي

نزل بها القرآن تركيبًا وانقسامًا ولا تمثيلاً ، وهكذا الكلام في مسمى الجسم والعرض والجوهر والتحيز وحلول الحوادث ، وأمثال ذلك ، فإن هذه الألفاظ يدخلون في مسماها الذي ينفونه أمورًا مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، فيدخلون فيها نفي علمه وقدرته وكلامه ويقولون : إن القرآن مخلوق لم يتكلم الله به ، وينفون بها رؤيته لأن رؤيته[1] - على اصطلاحهم- لا تكون إلا لمتحيز في جهة وهو جسم ، ثم يقولون : والله منزه عن ذلك ، فلا تجوز رؤيته ، ولذلك يقولون : المتكلم لا يكون إلا جسمًا متحيزًا ، والله ليس بجسم متحيز ، فلا يكون متكلمًا، ويقولون لو كان فوق العرش لكان جسمًا متحيزًا ، والله سبحانه وتعالى ليس بجسم متحيز، فلا يكون فوق العرش ، وأمثال ذلك . .) إلى آخر كلامه، وهو في صفحة ثلاث وثلاثين ومائة.

والمقصود أن قول أهل البدع في الواحد : أنه الذي لا ينقسم ولا يتجزأ قول مبتدع مخترع لم يقل به أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هو من كلام من ينتسب إلى أهل السنة

(١) كذا في أصل هذا الكتاب وفي العقل والنقل المطبوع ، وهذا التعبير يقتضي إثبات رؤيته والكلام في نفيها ، والتعبير الصحيح هو : لأن الرؤية على اصطلاحهم ، إلخ . فلعله حصل تحريف في النسخة المطبوعة فسرى إلى ماهنا .

والجماعة من المتكلمين وغيرهم .

وأما قول الشارح في الأحد : أنه أحد لا من عدد ، فهو كلام لا طائل تحته ولا يفيد شيئًا من المعاني ، بل الذي ينبغي أن يقال ما قاله فيه شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - حيث قال : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾[1] فأدخل اللام في الصمد ولم يدخلها في أحد لأنه ليس في الموجودات ما يسمى أحدًا في الإثبات مفردًا غير مضاف بخلاف النفي ، وما في معناه كالشرط والاستفهام ، فإنه يقال: هل عندك أحد إلا أكرمته ، وإنما استعمل في العدد المطلق وقال[2] أحد اثنان ويقال : أحد عشر وفي أول الأيام يقال : يوم الأحد .. إلى أن قال : والمقصود هنا أن لفظ الأحد لم يوصف به شيء من الأعيان إلا الله وحده ، وإنما يستعمل في غير الله في النفي ، قال أهل اللغة : تقول : لا أحد في الدار ولا تقل : فيها أحد ولهذا لم يجئ في القرآن إلا في غير الموجب ، كقوله تعالى :﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[3] وكقوله : ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ

(١) سورة الإخلاص : ١ ، ٢ .

(٢) كذا في الأصل ولعله يقال .

(٣) سورة الحاقة : ٤٧ .

النِّسَاء﴾[1] وقوله ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾[2] وفي الإضافة، كقوله تعالى : ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم﴾[3] و﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ [4] والله أعلم .

ومنها ما ذكره الشارح في الكواكب في صفحة ثلاثة عشر:

فكل ما جاء من الآيات أوصح في الأخبار عن ثقات

من الأحاديث نمره كما قد جاء فاسمع من نظامي واعلما

قوله : (فكل ما جاء) أي : عن الله تعالى من الآيات القرآنية أو صح مجيئه في الأخبار بالأسانيد الصحيحة بخلاف الضعيفة ، فإن وجودها كعدمها ، فلا بد من أن تكون الأخبار عن رواة ثقات في النقل من الأحاديث والآثار ، فما يوهم تشبيهًا فهو من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، نؤمن به وبأنه من عند الله نمره كما قد جاء عنه تعالى أو عن رسوله ، فمذهب السلف

(١) سورة الأحزاب : ٣٢ .

(٢) سورة التوبة : ٦ .

(٣) سورة الكهف : ١٩ .

(٤) سورة الكهف : ٣٢ .

عدم الخوض في هذا والسكوت عنه ونفوض علمه إلى الله قال ابن عباس : (هذا من المكتوم الذي لا يفسر ، وكذا قال غيره من الصحابة والتابعين، وأما أهل التأويل فأبوا إلا أن يفسروا ويئولوا حتى خالفوا سلف الأمة وأئمتها وابتدعوا في ذلك ، وكل بدعة ضلالة) انتهى .

فأقول : اعلم وفقك الله أن هذا الكلام الذي أوردته في هذا المقام لا ينبغي أن يؤخذ على إطلاقه ونسبته إلى مذهب أهل السنة والجماعة من السلف - رضوان الله تعالى عليهم- بل فيه ما هو حق من كلام السلف ، وفيه ما هو من بعض أقوال المتكلمين الذين ينتسبون إلى أهل السنة ممن كثر في باب أسماء الله وصفاته اضطرابهم وكشف عن معرفته حجابهم ، فإن السلف - رضوان الله تعالى عليهم - لا يدخلون أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، نعم فيه ما ذكر عن السلف أنهم يمرون آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت، وسيأتي بيان معنى ذلك فيما بعد - إن شاء الله تعالى- ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - في الرسالة المسماة بالإكليل في المتشابه والتأويل :

فصل

(وأما إدخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله أو اعتقاد أن ذلك هو المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله ، كما يقول كل واحد من القولين طوائف من أصحابنا وغيرهم ، فإنهم وإن أصابوا في كثير مما يقولونه ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم ، فالكلام على هذا من وجهين : الأول : من قال : إن هذا من المتشابه وإنه لا يفهم معناه ، فنقول: أما الدليل على ذلك فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة ، لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ، ونفى أحد أن يعلم معناه[1] وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم ولا قالوا : إن الله ينزل كلامًا لا يفهم ، أحد معناه وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة .

قالوا في أحاديث الصفات : تمر كما جاءت ، ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا

(١) كذا ولعل أصله . أن يعلم معناه أحد .

يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها ويفهمون منه للبعض ما دلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل ، وغير ذلك ، وأحمد قد قال في غير أحاديث الصفات تمر كما جاءت في أحاديث الوعيد مثل قوله : « من غشنا فليس منا »[1] وأحاديث الفضائل ، ومقصوده أن الحديث لا يُحرَّف كَلِمُه عن مواضعه كما يفعله من يحرفه ، ويسمى تحريفه تأويلاً بالعرف المتأخر ، فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الأئمة تحريف باطل ، وكذلك نص أحمد في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن ، وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبيَّن معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية ، وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله ، فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه وأن لا يسكت عن بيانه وتفسيره ، بل يبين ويفسر فاتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه أو إلحاد في أسماء الله وآياته). انتهى .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٤٢) ومسلم (١٠٢) وأبو داود (٣٤٥٢) والترمذي (١٣١٥) وابن ماجة (٢٢٢٤) وأبو عوانة (١/ ٥٧) وابن منده في الإيمان (٥٥٠ ، ٥٥٢) والحاكم في المستدرك (٢/ ٩) والبغوي (٢١٢٠) في شرح السنة والبيهقي في الشعب (٥/ ٣٢٠) والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ١٣٤) .

فتأمـل ما ذكره شيخ الإسـلام - رحمه الله - حـيث قال: فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يـعلمون معنى هذا المتشابه وأن لا يسكت عن بيـانه وتفسيره ، بل يبين ويفسر ، فـاتفاق الأئمة من غير تحريـف له عن مواضعه أو إلحـاد في أسماء الله وآيـاته . ثم تأمل ما ذكر الـشارح بقوله: (فمذهب السـلف عدم الخوض في هذا ، والسكوت عنه) ، فإنه يـخالف ما ذكره شيخ الإسلام عن اتفاق الأئمة علـى أنهم يعلمون معنى هذا المتـشابه وأن لا يسكت عن بيانـه في تفسيره ، فتـبين أن هذا ليس هو مذهـب السلف ، وأنه من القول عليهم بلا علم ولا برهان يدل على ذلك .

ثم قال شـيخ الإسلام : ومما يوضـح لك ما وقع هـنا من الاضطراب أن أهل الـسنة متفقون عـلى إبطال تأويلات الجـهمية ونحوهـم من المحرفين المـلحدين ، والـتأويل المردود هـو صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يخالـف ظاهره ، فلو قيل : إن هذا هو التأويـل المذكور في الآيـة ، وأنه لا يعلـمه إلا الله، ولـيس هذا مذهب السلف والأئمة، وإنما مذهـبهم نفي هذه التأويلات وردها لا التوقف عنها وعندهم قراءة الآيـة والحديث تفسيرها، وتمر كما جاءت دالة عـلى المعاني لا تحرف ولا يـلحد فيها . وذكـر كلامًا

طويلاً أجاد فيه وأفاد ، وبلغ غايـة المراد ، فمن أراد الوقوف عليه فهو فـي الرسالة المسمـاة بالإكليل في المـتشابه والتأويـل وإنما لم نذكره خوف الإطالة، إذ المقصود التنبيه على هذه الورطات .

وأما قول الشارح : فمذهب السلف عدم الخوض في هذا، والسكـوت عنه ، وتفويـض علمه إلـى الله ، فاعلـم يا أخي أن شيـخ الإسلام ابـن تيـميـة ذكر في الـعقـل والنـقل أقـوال أهل التفويـض، فنذكر من ذلك مـا يدل على بطلانـه ، وأنه من شر أقوال أهل البدع والإلحاد ، قال شيخ الإسلام -قدس الله روحه- في صفحة خـمسة عشر ومائة في الوجه الـسادس عشر : (وأما التـفويض ، فمـن المعلـوم أن الله تعـالى أمرنـا أن نتدبر الـقرآن وحضنـا على عقلـه وفهمه ، فكيـف يجوز مع ذلك أن يـراد منا الإعراض عن فهـمه ومعرفته وعقـله ؟ فذكر أقوال الفـلاسفة ثم قال: والجهمـية والمعتزلة وأمثـالهم يقولون : إنه أراد أن يـعتقدوا الحق على مـا هو عليه مع علمـهم بأنه لم يبين ذلك فـي الكتاب والسنة ، بل النصوص تدل على نـقيض ذلك، فأولئك يقولون : أراد منـهم اعتـقاد الباطـل وأمرهم بـه ، وهؤلاء يقـولون : أراد اعتقاد ما لم يدلهم إلا على نقـيضه ، والمؤمن يعلم بالاضطرار أن

كلا القولين باطل ولا بد للنفاة أهل التأويل من هذا أو هذا ، وإذا كان كلاهـما باطلاً كان تـأويل النفاة للـنصوص باطلاً ، فـيكون نقيضه حقاً وهو إقرار الأدلة الشرعية على مدلولاتها ، ومن خرج عن ذلك لزمه من الفساد ما لا يقوله إلا أهل الإلحاد ، وما ذكرناه من لوازم قـول أهل التفـويض هو لازم لقولـهم الظاهـر المعروف بينـهم ، إذ قالوا : إن الرسـول كان يعلـم معاني هذه الـنصوص المشكلـة المتشابهة ولكن لـم يبين للناس مراده بـها ، ولا أوضحه إيضاحًا يقطع به النزاع ، وأما على قول أكابرهم : إن معاني هذه النصوص المشكـلة المتشابهة لا يعلمه إلا اللـه ، وإن معناها الذي أراده الله بـها هو ما يوجـب صرفها عـن ظواهرها ، فعـلى قول هؤلاء يكـون الأنبياء والمرسـلون لا يعلمـون معاني ما أنـزل الله عليـهم من هذه النصـوص ولا الملائكة ولا السابـقون الأولون ، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء مـعناه ، بل يقولون كلامًا لا يعقلون معناه ، وكذلك نـصوص المثبتين للقدر عند طـائفة ، والنصوص المثبتة للأمر والـنهي والوعد والوعيد عند طائفة والـنصوص المثبتة للمعاد عند طائفة ، ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء ، إذ

كان الله أنزل القـرآن وأخبر أنه جعله هدى وبيانًـا للناس ، وأمر الرسول أن يـبلغ البلاغ المـبين، وأن يبين لـلناس ما نزل إلـيهم ، وأمر بتدبر القرآن وعقله ، ومع هـذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته أو عن كونه خـالقًا لكل شيء وهو بكل شيء عليـم ، أو عن كونه أمر ونهـي ووعد وتوعد ، أو عما أخـبر به عن اليـوم الآخر لا يعلـم أحد معناه ، فـلا يعقل ولا يـتدبر ولا يكون الـرسول بيَّن للـناس ما نزل إليـهم ولا بلَّغ البـلاغ المبين ، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع : الحق في نفس الأمر ما علمته بـرأيـي وعقلي ، وليس في النصـوص ما ينافي ذلك ، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة ، ولا يعلم أحد معناها وما لا يعلم أحـد معناه لا يجوز أن يسـتدل به، فيبقى هـذا الكلام سداً لباب الهـدى والبيان من جهة الأنبـياء وفتحًا لباب من يـعارضهم ويقول : إن الهدى والبيان في طريـقنا لا في طريق الأنبياء ؛ لأنا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة الـعقلية ، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون فضلاً عن أن يبينوا مرادهم . فتبين أن قول أهل التفويض الذين يـزعمون أنهم متـبعون للسـنة والسلف من شـر أقوال أهل البدع والإلحاد. . .) إلى آخر كلامه - رحمه الله - .

وأما قول الشارح : قال ابن عباس : هذا من المكتوم الذي لا يفسر ، وكذا قال غيره من الصحابة والتابعين ، وأما أهل التأويل فأبوا إلا أن يفسروا ويئولوا حتى خالفوا سلف الأمة وأئمتها ، وابتدعوا في ذلك ، وكل بدعة ضلالة . انتهى.

فاعلم يا أخي أن هذا القول الذي نسبه الشارح إلى ابن عباس-رضي الله عنه - وغيره من الصحابة إن كان صحيحًا ثابتًا فليس معناه ما توهمه الشارح من أن نصوص الكتاب والسنة الواردة في أسماء الله وصفاته أنه[1] مما يوهم تشبيها، فيكون من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، وأنه مما لا يعقل معناها[2] وأنها لا تفسر ، وقد تقدم بيان ذلك في معنى التفويض ، ونزيد ذلك إيضاحًا بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - في هذا الكتاب حيث قال : وأما تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن

---

(١) كذا في النسخة ، فإما أن تكون «أنه» هنا تأكيدًا لأنه في أول الجملة، وإما أن تكون سبق قلم فإن ما بعدها خبر لأنه الأُولى ، وحاصل المعنى أن النصوص المذكورة ليست من المتشابه الذي لا يعقل كما توهم الشارح .

(٢) تذكير ضمير « وأنه » لأنه راجع إلى « ما توهمه الشارح » وتأنيثه في كلمة «معناها» لرجوعه إلى النصوص ، وربما كان سهواً في النسخ .

اليوم الآخر فـهو نفس الحقيقـة التي أخبر عنهـا وذلك ، في حق الله هو كنه ذاتـه وصفاته التي لا يعلمها غيـره . ولهذا قال مالك وربيعة وغيرهما : الاستواء معلوم والكيف مجهول . وكذلك قال ابن الماجشون وأحمـد بن حنبل وغيرهما من السـلف يقولون: إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله عن نفسه ، وإن علمنا تفسيره ومعناه ، ولهذا رد أحمد بن حنبل على الجهمية والزنادقة فيما طعنوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تـأويله ، فرد على من حمله على غير ما أريد به ، وفسر هو جميع الآيات المتشابهة وبين المراد به . وكذلك الصحابة والتابعون فسروا جميع القرآن ، وكانوا يقولون : إن العلماء يعلـمون تفسيره وما أريد به، وإن لم يعلـموا كيفية ما أخبر الله به عن نفسه ، وكذلك لا يعلمون كيفيات الغيب ، فإن ما أعده الله لأوليائه من النعيم ما لا عين رأته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر ، فذاك الذي أخـبر به لا يعلمه إلا الله بهذا المعنـى فهذا حق . وأمـا من قال : إن التأويـل الذي هو تفـسيره وبيان المراد به لا يعـلمه إلا الله، فهذا ينازعه فيه عـامة الصحابة والتابعين الذين فسروا القرآن كله وقالوا : إنهم يعلمون معناه كما قال مجاهـد : عرضت المصحف عـلى ابن عباس من فـاتحته إلى

خاتمته أقف عند كل آية وأسأله عـنها ، وقال ابن مسعود : ما في كتاب الله آية إلا وأنا أعلم فيـم أنزلت ، وقال الحسن البصري : ما أنزل الله آيـة إلا وهو يحب أن يعلم ما أراد بهـا. ولهذا كانوا يجعلـون القرآن يحيط بكل مـا يطلب من علم الديـن ، كما قال مسـروق : ما نسـأل أصحاب محـمد عن شـيء إلا وعلمـه في القرآن؛ ولكن علمنا قصر عنه. وقال الشعبي: ما ابتدع قوم بدعة إلا في كتاب الله بيانها ، وأمثـال ذلك من الآثار الكثيرة المذكورة بالأسانيد الثابتة مما ليس هذا موضع بسطه . انتهى .

فهذا ما ذكره شيخ الإسلام ابن تـيمية - قدس الله روحه- من علم الكيفية عما أخبر الـله به عن نفسه ، وكذلك لا يعلمون كيفيات الغـيب ، فإن ما أعده الله لأوليائه من الـنعيم مما لا عين رأته ولا أذن سمعتـه ولا خطر على قلب بشـر، فذاك الذي أخبر اللـه به لا يعلـمه إلا اللـه بهذا المـعنى، فهـذا الذي ذكره شـيخ الإسلام هو الذي يحمل عليه قول ابـن عباس وغيره من الصحابة إن كان النقل بذلك ثابتًا عـنهم ، وقد تقدم أن السلف - رضوان الله عليهم - كـانوا يقولون : إنا لا نعلم كيفيـة ما أخبر الله عن نفسه ، وإن علمنا تفسيره ومعناه ، فكان من المعلوم أن ابن عباس

وغيره مــن الصحابــة وأئمة السلــف كانوا يفــسرون ما تشــابه من القرآن ، يعلمون معنى ذلك ولم يسكتوا عن بيان ذلك .

وأما قول الشــارح : وأما أهل التأويل فأبــوا إلا أن يفسروا ويئولوا حتى خالفوا سلف الأمة وأئمتها وابتدعوا في ذلك ، وكل بدعة ضلالة . انتهى .

فاعلم يا أخــي أن التأويل المردود الذي سلكه الجــهمية ومن تبعهم من المــتكلمين هو صرف الكلام عن ظاهــره إلى ما يخالف ظاهره ، فلو قيل : إن هذا هو الــتأويل المذكور في الآية، وإنه لا يعلمه إلا الله لكان في هذا تسليم للجهمية أن للآية تأويلاً يخالف دلالتها ، لكن ذلك لا يعلمه إلا الله ، وليس هذا مذهب السلف والأئمة ، وإنما مذهبهم نفي هذه التأويلات وردها لا التوقف عنها ، وعندهم قراءة الآية والحديث تفســيرهما ، وتمر كما جاءت دالة على المــعاني ، لا تحرف ولا يــلحد فيهــا ، فكان من المــعلوم أن السلف الذي قالوا: لا يعلم تأويله إلا اللــه كانوا يتكلمون بلغتهم المعروفــة بينهــم ، ولـم يكن لفـظ التأويل عنــدهـم يراد به مــعنى التــأويل الاصطــلاحي الخاص ، وهو صــرف اللفــظ عن المعــنى المدلول عليه المفهوم منه إلى معــنى يخالف ذلك ، فإن تسمية هذا

المعنى وحـده تأويلاً ، إنما هو اصطـلاح طائفة من المتـأخرين من الفقهاء والمتكلمين وغيرهم ، لـيس هو عرف السلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيـرهم ، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - والله أعلم .

إذا تبين لك هـذا فاعلم أن مراد من قال من الـسلف رضي الله عـنهم أنه لا يفـسر يعنون أنه لا يـئول ويحرف فيـصرف عن ظاهره إلى ما لا يدل عليه ظـاهره ، كما أولوا الاستواء وفسروه بأنه الاستيلاء ، وكـما فسروا اليد بالنعمـة ، وهذا هو الذي نهى السلف عن تفسيره وتأويله بهذا المعنى ، والله أعلم .



فصل

ومنها ما ذكره في الوجه الرابع والعشرين على قول الناظم:

سبحانه قد استوى كما ورد

من غير كيف قد تعالى أن يُحَدَّ

فقال : تعالى الله أن يحد ، وفيه الرد على من زعم أن يلزم من كونه مستويًا على عرشه أن يحد ، تعالى الله عن ذلك ، إذ المحدود محدث والمحدث مفتقر للخالق ، والخالق سبحانه: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم ﴾[1] . الأول من غير بداية ، والآخر من غير نهاية ، والظاهر من غير تحديد ، والباطن من غير تخصيص، موجود بالوجود القديم من غير تشبيه ولا تكييف .

فأقول : اعلم وفقك الله أن هذا الكلام الذي أورده الشارح في هذا المقام من الألفاظ المجملة الموهمة المطلقة المحتملة لمعنيين حق وباطل ، فلا ينفصل النزاع إلا بتفصيل تلك المعاني وتنزيل ألفاظها عليها ، كما قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - على هذه الألفاظ المبتدعة المخترعة التي لم ينطق بها سلف الأمة

(١) سورة الحديد الآية : ٣ .

وأئمتها : (ويقولون : نحن ننزه الله تعالى عن الأعراض والأغراض والأبعاض والحدود والجهات وحلول الحوادث ، فيسمع الغر المخدوع هذه الألفاظ فيتوهم منها أنهم ينزهون الله عما يفهم من معانيها عند الإطلاق من العيوب والنقائص والحاجة ، فلا يشك أنهم يمجدونه ، ويعظمونه ، ويكشف الناقد البصير ما تحت هذه الألفاظ ، فيرى تحتها الإلحاد وتكذيب الرسل وتعطيل الرب تعالى عما يستحقه من كماله . . .) إلى آخر كلامه . وقد تقدم.

وقال شيخ الإسلام - قدس الله روحه - : (وكذلك إذا قالوا : إن الله منزه عن الحدود والأحياز والجهات أوهموا الناس بأن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات ولا تحوزه المصنوعات ، وهذا المعنى صحيح ، ومقصودهم أنه ليس مباينًا للخلق ولا منفصلاً عنه ، وأنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله ، وأن محمدًا لم يعرج به إليه ، ولم ينزل منه شيء ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا يتقرب إليه بشيء، ولا ترفع الأيدي إليه في الدعاء ولا غيره ، ونحو ذلك من معاني الجهمية) انتهى.

فإذا تبين لك هذا فاعلم أن قول الشارح على هذه اللفظة المحتملة الموهمة المطلقة حيث قال : تعالى الله أن يحد، وفيه الرد

على من زعم أنه يلزم من كونه مستويًا على عرشه أن يحد ، تعالى الله عن ذلك ، إذ المحدود محدث والمحدث مفتقر للخالق. . . إلى آخر كلامه ، هو من كلام أهل البدع من الجهمية وغيرهم ممن نحا نحوهم من المتكلمين ، فإذا كان هذا هو المفهوم من كلام الناظم والشارح قطعًا ولا محيد عنه لإطلاقه ألفاظًا لم ينطق بها الكتاب والسنة ، ولا نطق بها أئمة السلف - رضوان الله عليهم - بل المتكلم بها من هؤلاء المبتدعة يوهمون الناس أن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات ولا تحوزه المصنوعات ، وهذا المعنى صحيح، ولكن مقصودهم هو ما تقدم بيانه عنهم من كلام شيخ الإسلام آنفا ، وإذا كان ذلك كذلك فنحن نسوق كلام أئمة السلف - رضوان الله تعالى عليهم - في هذا المقام ليتبين لك خطأ الناظم والشارح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - في العقل والنقل بعد أن ذكر كلامًا طويلاً ، قال : (وقال حنبل في موضع آخر عن أحمد قال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ في ذاته كما وصف به نفسه قد أجمل تبارك وتعالى بالصفة لنفسه فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء ، فنعبد الله بصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا

بما وصف به نفسه ، قال : فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير ولا يبلغ الواصفون صفته وصفاته منه وله ، ولا نتعدى القرآن والحديث فنقول كما قال ونصفه كما وصف نفسه ، ولا نتعدى ذلك ، ولا تبلغه صفة الواصفين ، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، وما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلوه بعبده يوم القيامة ووضعه كنفه عليه ، هذا يدل على أن الله تبارك وتعالى يُرى في الآخرة والتحديد في هذا كله بدعة والتسليم لله بأمره بغير صفة ولا حد إلا ما وصف به نفسه ، سميع بصير لم يزل متكلمًا عالمًا غفورًا ، عالم الغيب والشهادة علام الغيوب . فهذه صفات وصف بها نفسه لا تدفع ولا ترد ، وهو على العرش بلا حد كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾[1] كيف شاء ، المشيئة إليه - عز وجل - والاستطاعة ، ليس كمثله شيء ، وهو خالق كل شيء ، وكما وصف نفسه سميع بصير بلا حد ولا تقدير . قال إبراهيم لأبيه : ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ﴾[2]

---

(١) سورة الأعراف : ٥٤ .

(٢) سورة مريم : ٤٢ .

فنثبت أن الله سميع بصير ، صفاته منه ، لا نتعدى القرآن والحديث ، والخبر : « يضحك الله »[1] ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول ، وبتثبيت القرآن ، لا يصفه الواصفون ولا يحده أحد ، تعالى الله عما تقول الجهمية والمشبهة .

قلت: والمشبهة ما يقولون ؟ قال : من قال : بصر كبصري ويد كيدي وقدم كقدمي فقد شبه الله بخلقه ، وهذا يحده . وهذا كلام سوء ، وهذا محدود ، والكلام في هذا لا أحبه .

وقال محمد بن مخلد : قال أحمد : نصفُ الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله . وقال يوسف بن موسى: إن أبا عبد الله قيل له : ولا يشبه ربنا شيئًا من خلقه، قال : نعم : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فقول أحمد : إنه ينظر إليهم ويكلمهم كيف شاء، وإذا شاء ، وقوله : وهو على العرش بلا حد كما قال : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ كيف شاء ، المشيئة إليه والاستطاعة له ، ليس كمثله شيء يبين أن نظره وتكليمه وعلوه على العرش واستواءه على العرش مما يتعلق بمشيئته واستطاعته ، وقوله بلا حد

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٣٩) ومسلم (١٨٩٠)

ولا صفة يبلغها واصف أو يحده أحد ، نفى به إحاطة علم الخلق به وأن يحدوه أو يصفوه على ما هو عليه إلا بما أخبر به عن نفسه ليتبين أن عقول الخلق لا تحيط بصفاته ، كما قال الشافعي في خطبة الرسالة: الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصف به خلقه(١) ولهذا قال أحمد : لا تدركه الأبصار ، بحد ولا غاية . فنفى أن يدرك له حد أو غاية . فهذا أصح القولين في تفسير الإدراك ، وقد بسط الكلام على شرح هذا الكلام في غير هذا الموضع .

وما في هذا الكلام من نفي تحديد الخلق وتقديرهم لربهم وبلوغهم صفته لا ينافي ما نص عليه أحمد وغيره من الأئمة كما ذكره الخلال أيضًا ، قال : حدثنا أبو بكر المروذي قال : سمعت أبا عبد الله لما قيل له : روى علي بن الحسن بن شقيق عن بن المبارك أنه قيل له : كيف نعرف الله - عز وجل - ؟ قال : على العرش بحد . قال : قد بلغني ذلك عنه وأعجبه ، ثم قال أبو

---

(١) كذا ، وقد سقط من عبارة الشافعي كلام بين الحمد وهذا الوصف يحتمل أن يكون عمدا للاختصار ، وأن يكون سهوًا - ومنه قوله قبل محل الشاهد هنا : ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته ، الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه - ا.هـ.

عبـد اللـه : ﴿ هَـلْ يَنـظُرُونَ إلا أَن يَـأْتِيَـهُـم اللَّـهُ فِي ظُـلَل مِّـنَ الغَمَامِ﴾[1] ثم قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَـفاً ﴾[2] قال الخلال : وأنبأنا محمد بن علـي الوراق ، حدثنا أبو بكر الأثرم ، حدثني محمد بن إبراهيم القـيسي قال : قلت لأحمد بن حنبل : يحكي عن ابـن المبارك وقيل له : تعرف ربنا ؟ قـال : في السماء السـابعة عـلى عرشـه بحد ، فـقال أحـمد :هكـذا هو عنـدنا، وأخبرني حـرب بن إسماعيل قـال : قلت لإسحاق - يعـني ابن راهويه -: هو على العرش بحـد ، قال : نعم بحد ، وذكر عن ابن المبارك قـال : هو على عرشه بـائن من خلقه بـحد ، قال : وأخبرني المروذي قال : قال إسحاق بـن إبراهيم بن راهويه: قال الله تبارك وتعالى :﴿ الرَّحْمَنُ عَلَـى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾[3] إجماع أهل العلـم أنه فوق العرش استـوى، ويعلم كل شيء فـي أسفل الأرض السابعة ، وفي قعور البحار ورءوس الآكام وبطون الأودية وفي كل موضع، كمـا يعلم علم ما في السمـاوات السبع وما فوق الـعرش ،أحاط بـكل شيء علـمًا فلا تـسقط مـن ورقة إلا

(١) سورة البقرة الآية : ٢١٠ .

(٢) سورة الفجر الآية : ٢٢ .

(٣) سورة طه الآية :٥ .

يعلمها، ولا حبة في ظلمات البر والبحر إلا وقد عرف ذلك كله وأحصاه؛ فلا تعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره . فهذا بينوا أن ما أثبتوه له من الحد لا يعلمه غيره ،كما قال مالك وربيعة وغيرهما : الاستواء معلوم والكيف مجهول، فتبين أن كيفية استوائه مجهولة للعباد ، فلم ينفوا ثبوت ذلك في نفس الأمر، ولكن نفوا علم الخلق به ، وكذلك مثل هذا في كلام عبد العزيز بن عبد الله بن الماجشون وغير واحد من السلف والأئمة ينفون علم الخلق بقدره وكيفيته ، وبنحو ذلك قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون في كلامه المعروف ، وقد ذكره ابن بطة في الإبانة وأبو عمر الطلمنكي في كتابه الأصول ، ورواه أبو بكر الأثرم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة أنه قال : أما بعد، فقد فهمت ما سألت عنه فيما تتابعت فيه الجهمية ومن خالفها في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير، وكَلَّت الألسن عن تفسير صفته ، وانحسرت العقول عن معرفة قدره.. إلى أن قال : فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو . وكيف يعرف قدر من لا يموت ولا يبلى ؟ وكيف يكون لصفة شيء منه حدٌّ أو منتهى يعرفه عارف،

أو يحد قدره واصف. الدليل علـى عجز العقول عن تحقيق صفته عجـزها عن تحـقيق صـفة أصـغر خلـقه . . إلى أن قـال: اعرف رحمك اللـه غناءَ عن تكلف صـفة ما لم يصف الرب مـن نفسه بعجزك عن معرفـة قدر ما وصف منـها ، إذا لم تعـرف قدر ما وصف فما تكـلفك علم ما لم يـصف ؟ هل تستدل بـذلك على شيء من طاعته ، أو تنزجر عن شـيء من معصيته ؟ وذكر كلامًا طويلاً إلى أن قال : فـأما الذي جحد ما وصف الرب مـن نفسه تعمقًـا وتكلفًا قد استهـوته الشياطين في الأرض حـيران ، فصار يستدل بزعمه على جحد مـا وصف الرب وسمى من نفسه ، بأن قال: لابد إن كان له كذا من أن يكون لـه كذا ، فعمَّى عن البيِّن بالخفي بجحد ما سمى الرب من نفسه ويصف الرب بما لم يسم ، فلم يزل يملي لـه الشيطان حتى جحد قول الـله تعالى : ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[1] فقال: لا يراه أحد يوم القيامة ، فجـحد - والله - أفـضل كرامة الـله التي أكـرم بها أوليـاءه يوم القـيامة من الـنظر في وجـهه : ﴿**فِي مَـقْعَدِ صِدْقٍ عِـندَ مَلِـيكٍ**

(١) سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) سورة القمر : ٥٥ .

مُّقْتَدِرٍ﴾(٢) قد قضى أنهم لا يموتون ، فهم بالنظر إليه ينضرون .
وذكر كلامًا طويلاً كُتِبَ في غير هذا الموضع، ثم ذكر بعد هذا كلام الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه الذي سماه (رد عثمان بن سعيد ، على الكافر العنيد ، فيما افتراه على الله في التوحيد) فقال :

باب الحد والعرش

قال أبو سعيد: وادعى المعارض أيضًا أنه ليس لله حد ولا غاية ولا نهاية، قال: وهذا هو الأصل الذي بنى عليه جهم جميع ضلالاته، واشتق منها جميع أغلوطاته، وهي كلمة لم يبلغنا أنه سبق جهمًا إليها أحد من العالمين، فقال له قائل ممن يحاوره: قد علمت مرادك أيها الأعجمي، تعني أن الله لا شيء؛ لأن الخلق كلهم قد علموا أنه ليس شيء يقع عليه اسم شيء إلا وله حد وغاية وصفة، وأن لا شيء ليس له حد ولا غاية ولا صفة، فالشيء أبدًا موصوف لا محالة، ولا شيء يوصف بلا حد ولا غاية، وقولك: لا حد له، تعني أنه لا شيء، قال أبو سعيد: والله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحده غاية في نفسه، ولكن يؤمن بالحد ويكل علمه . انتهى .

إذا فهمت هذا وتحققته تبين لك منافاة ما قاله الناظم والشارح لكلام أئمة السلف رضوان الله عليهم ؛ لأن مرادهم في قولهم : بلا حد كما قال أحمد : وهو على العرش بلا حد ، وقوله : وكما وصف نفسه سميع بصير بلا حد ، وقوله : لا يصفه الواصفون ولا يحده أحد ، فمرادهم بقوله بلا حد معناه ما ذكره شيخ الإسلام - قدس الله روحه - بقوله : بلا حد ولا صفة يبلغها واصف أو يحده أحد ، نفى به إحاطة علم الخلق به وأن يحدوه أو يصفوه على ما هو عليه إلا بما أخبر به ، عن نفسه ليتبين أن عقول الخلق لا تحيط بصفاته كما قال الشافعي في خطبة الرسالة : الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه ، وفوق ما يصفه به خلقه . ولهذا قال أحمد : لا تدركه الأبصار بحد ولا غاية فنفى أن يدرك له حد أو غاية ، وكذلك ما ذكره الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون حيث قال : وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى يعرفه عارف أو يحد قدره واصف . . . إلى آخر كلامه .

فهذا ما ذكره أئمة السلف - رضوان الله عليهم - في معنى قولهم : بلا حد ، وهو خلاف ما فهمه الشارح في معنى قولهم

بلا حد ، فإنه قال : وفيه الرد على من زعم أنه يلزم من كونه مستويًا على عرشه أن يحد ، تعالى الله عن ذلك ، إذ المحدود محدث ، والمحدث مفتقر للخالق ، وهذا يوافق ما قاله أهل البدع من أهل الكلام وغيرهم ممن أخذ بأقوال الجهمية المنكرين لعلوه على عرشه ومباينته لمخلوقاته كما ذكر ذلك عنهم الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في رده على بشر المريسي حيث قال : (وادعى المعارض أيضًا أنه ليس لله حد ولا غاية ولا نهاية ، قال : وهذا هو الأصل الذي بنى عليه جهم جميع ضلالاته ، واشتق منها جميع أغلوطاته ، وهي كلمة لم يبلغنا أنه سبق جهمًا إليها أحد من العالمين ، فقال له قائل ممن يحاوره : قد علمت مرادك أيها الأعجمي ، تعني أن الله لا شيء ، لأن الخلق كلهم قد علموا أنه ليس شيء يقع عليه اسم الشيء إلا وله حد وغاية أو صفة ، وأن لا شيء ليس له حد ولا غاية ولا صفة فالشيء أبدًا موصوف لا محالة ولا شيء يوصف بلا حد ولا غاية ، وقولك : لا حد له تعني أنه لا شيء قال أبو سعيد : والله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحده غاية في نفسه، ولكن يؤمن بالحد ويكل علم) . انتهى .

فإذا كان ذلـك كذلك ، تعين ما ذكـره أئمة السلـف حيث قالوا : كيف نعرف الله عز وجل ؟ قال : على العرش بحد، كما رواه علي بن الحسين بن شقيق عن عـبد الله بن المبارك رضي الله عنه ، وكـما رواه الخلال بإسناده إلـى الإمام أحمد أنه قـيل له : يحكي عن ابـن المبارك وقيل له : كيف تعرف ربـنا ؟ قال : على عرشه بحد ، قال أحمد : هكذا هو عندنا، وذكر أيضًا عنه حرب ابن إسماعيل قال : قلت لإسحاق - يعني ابن راهويه - هو على العرش بحد ؟ قال : نعم بحـد . وذكر عن ابن المبارك قال : هو على عرشه بائن من خلقه بحد.

ثم قال شيخ الإسلام بعد أن ذكـر أقوال أئمة السلف : إنه بحد ، قال رحمه الـله : بينوا أن ما أثبتوه له مـن الحد لا يعلمه غيـره ، كما قال مـالك وربيعـة وغيرهمـا : الاستواء معـلوم ، والكيـف مجـهـول . فبـيـن أن كيفية استوائه مـجهولة للعباد ، فلم ينفـوا ثبـوت ذلـك في نـفـس الأمر ، ولكن نفوا علم الخلق به .

واعلم أني إنمـا أعدت هذا الكلام وكررتـه ليتبين لـك مـا بـين اللفظتين من قوله : بلا حد ومن قوله : بحد ، لتعلم الفرق

بين هاتين اللفظتين ، كما بينه شيخ الإسلام فيما تقدم، والله أعلم .

وأما قول الشارح : والخالق هو الأول ، والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، الأول من غير بداية، والآخر من غير نهاية ، والظاهر من غير تحديد ، والباطن من غير تخصيص، إلى آخر كلامه .

فاعلم وفقك الله أن في هذا الكلام ألفاظًا لم يقل بها أحد من أئمة السلف رضي الله عنهم كقوله : والظاهر من غير تحديد، والباطن من غير تخصيص ، فلنسلم معنى ما ذكره من هذه الألفاظ لما تقدم بيانه .

والذي ذكره أئمة السلف هو ما ذكره ابن القيم - رحمه الله- في سِفْر الهجرتين حيث قال : وقد فسر أعلم الخلق بربه هذه الآية قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[1] بأنه هو الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، والظاهر الذي ليس فوقه شيء ، والباطن الذي ليس دونه شيء .

(١) سورة الحديد الآية : ٣ .

فهذا تفسير أعلم الخلق بربه ، ولا حاجة بنا إلى تفسير من لا عصمة في قوله . وقد بينا فيما تقدم أن هذا من كلام أهل البدع، وأنهم يوهمون الناس أن مقصودهم بذلك أن لا تحصره المخلوقات، ولا تحوزه المصنوعات ، وهذا المعنى صحيح ، ومقصودهم أنه ليس مباينًا للخلق ولا منفصلاً عنه، وأنه ليس فوق السموات رب ، ولا على العرش إله ، وقد تقدم هذا في كلام شيخ الإسلام بتمامه ، وأما قوله : والباطن من غير تخصيص ، فهو أيضًا من كلام أهل البدع كما ذكره شيخ الإسلام عن ابن التومرت الذي يسمونه المهدي وهو من نفاة الصفات .

والجواب عما ذكره ابن التومرت مذكور في العقل والنقل في صفحة سبع ومائتين في المجلد الأخير في الجزء الثالث ، فمن أراد الوقوف عليه فليراجعه هناك ، والله أعلم.

ومنها ما ذكره الشارح في صفحة سبع وعشرين على قوله: ونهجه ، أي نهج اليد والوجه ونحوهما ، أي كل ما ورد من الأوصاف من الرِّجل والقَدمِ والصورة فأقول :

اعلم أن ما ذكره الشارح من قوله : والصورة إن أراد به ما أخبر به ﷺ في الحديث الصحيح كما في البخاري أن رسول

الله ﷺ قال : « إن الله خلق آدم على صورته »[1] ورواه الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن النبي ﷺ مرسلاً ولفظه : « خلق آدم على صورة الرحمن »[2] . قال شيخ

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣١٥) والبخاري (٣٣٢٦) ومسلم (٢٨٤١) وابن خزيمة في التوحيد (ص ٤٠) واللالكائي (٧١١) في أصول السنة ، والبغوي (٣٢٩٨) في شرح السنة .

(٢) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (ص ٢٧) وابن أبي عاصم (١/ ٢٣٠ ، ٥٢١) والأجري في الشريعة (ص ٥١٣) وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١٨٦) والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٠٦) والدارقطني في الصفات (٦٥، ٦٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٢٩١) .

قلت : وهذا الحديث صحيح ، صححه الأئمة أحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة الدين - رحمهم الله - من سلفنا الصالحين ، وهذا الحديث بين أهل السنة وأهل البدعة، وإنه لا يكاد ينقضي عجبي مما زعمه بعضهم- وهو من كبار الظاهرية الضالة - في هذا العصر أن شيخ مشايخنا العلامة حمود بن عبد الله التويجري - رحمه الله - قد أساء إلى العقيدة والسنة الصحيحة معًا لتأليفه لكتابه القوي في بابه ، الماتع في لبابه « عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن » وهذه ظاهرية تقدح بل زلة عظيمة تقدح في أصل الدين ، في توحيد الأسماء والصفات ، بلْ لقد أصاب الشيخ حمود - رحمه الله تعالى - كل الإصابة في تأليفه لهذا الكتاب ، إذ قد بين فيه عقيدة السلف الصالح في هذه المسألة المهمة، ودحض بعض الشبهات، فكان الواجب الدعاء له بالثواب من الله=

الإسلام : ورواه الأعمش مسندًا ، وكما ورد في الحديث :

= على هذا الجهد المبارك ، ثم أي إساءة بلْ وأي جرم في موافقة أئمة أهل السنة كالإمام أحمد وإسحاق وغيرهم رحمهم الله ؟! والعدول عن موافقة الجهمية في ذلك ، ولكن هذا الزاعم الذي يدعي الإساءة هو أحق بها وأهلها ، لأنه قد خالف عقيدة السلف الصالح ، ورغَّب في موافقة الجهمية ، كما قال الإمام أحمد - رحمه الله - : (من قال إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي).

هذا وللشيخ العلامة المحدث عبد الله بن محمد الدويش - رحمه الله - جزء لطيف ومنار منيف، سماه « دفاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق الله آدم على صورة الرحمن » قد أجاد فيه وأفاد ونصح فيه للأمة والعباد ، وهي من أعماله المشكورة، وجهوده المبرورة في الدفاع عن عقيدة السلف - رحمه الله - فأكْرِم به من دفاع بين فيه الحق والصواب ، وأنعِم به من مدافع بالحجة والبرهان .

وليعلم الجميع أن الواجب تحري طريقة السلف والاقتداء بهم ، وترك أقوال المتأخرين، وإن ادعوا طريقة السلف الصالحين ، إن هم خالفوها بسبب ظاهريتهم الموروثة عن أهل البدع والضلال ، فإن سيرة السلف فيها الخير التام ، والله المستعان على من انجرف وراء شبه المتأخرين ، واستيقن طريقتهم واعتصم بها ، علمًا بأن هؤلاء المتأخرين أساءوا من حيث أرادوا أن يحسنوا ، وكم من مريد للخير لن يصيبه ، فلا يغترن السني بزلاتهم وهفواتهم وبدعهم، وليتحرى ما كان عليه السلف ، وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : «يهدم هذا الدين: زلة عالم ، وجدال منافق عليم بالقرآن ، وحكم الأئمة المضلين». =

«فيأتيهم على الصورة التي يعرفونها فيقول: أنا ربكم»[1] فما أخبر به النبي ﷺ في ذلك فهو الحق الذي لا ريب فيه ، ولكن لا نقول إلا ما ورد به النص عن رسول الله ﷺ ، ولا يجوز لأحد أن يطلق على الله أنه صورة ؛ لأن ذلك لم يرد في الكتاب ولا في السنة لا نفيًا ولا إثباتًا ، ولا سمى الله به نفسه .

فإطلاق هذه الألفاظ على الله من أقوال أهل البدع التي تلقاها مَنْ خلف منهم عمن سلف .

قال ابن القيم - رحمه الله - في المدارج بعد أن ذكر كلامًا سبق : (إن الفعل أوسع من الاسم ، ولهذا أطلق على نفسه أفعالاً لم يتسم منها بأسماء الفاعل كأراد وشاء وأحدث، ولم يسم بالمريد والمشيء والمحدث كما لم يسم نفسه بالصانع والفاعل والمتقن ، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه ،

= وهذه الحال هي الآن ، فكم من مدع لعلم الحديث والسنة ، وهو قد هدم الدين بزلاته ؛ بل وضلالاته وقوادحه العظام ، فاللهم ارزقنا هديًا قاصدًا ، وجنبنا منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء ، والحمد لله على الإسلام والسنة .

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٧) والبخاري (٩/ ٢٣١ ، ٢٣٢) ومسلم (١٦٧ ، ١٦٨) وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٧٢) وابن منده في الرد على الجهمية (ص ٣٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٣٦) .

فباب الأفعال أوسع من بابِ الأسماء .

وقد أخطأ أقبح خطأ من اشتق له من كل فعل اسمًا وبلغ بأسمائه زيادة على الألف فسماه الماكر والخادع والفاتن والكائد ونحو ذلك، وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به، فإنه يخبر عنه بأنه شيء موجود ومذكور ومعلوم ومراد ، ولا يسمى بذلك) انتهى .

فإذا تبين لك هذا فاعلم أن من أدخل اسم الصورة في أسماء الله قد أخطأ أقبح خطأ ؛ لأن باب الأفعال والإخبار عن الله أوسع من باب الأسماء ، ولفظ الصورة لم يذكره أحد من علماء أهل السنة والجماعة في عقائدهم ، وإنما ذكر ذلك بعض من ينسب إلى أهل السنة ، فمن اشتق من أفعال الله سبحانه وتعالى أسماءً وأوصافًا لم يذكرها الله ولا رسوله إلا على سبيل الإخبار ، فنقول في ذلك ما قاله الله ورسوله وأخبر به في كتابه وسنة رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والحديث والله أعلم .

وقد تقدم التنبيه على أن السلف - رضوان الله عليهم - قد فسروا آيات الصفات وأحاديثها وبينوا معانيها ونهوا عن تأويلات الجهمية ، وذكرنا ما ذكره شيخ الإسلام من أن مذهب أهل

التفويض أشر المذاهب وأخبثها ، ونسبة ذلك إلى السلف من الكذب عليهم والله أعلم .

ومنها : ما ذكره في صفحة ثمان وسبعين على قول الناظم:

فسائر الصفات والأفعال قديمة لله ذي الجلال

قال الشارح : وسائر الأفعال من الاستواء أو النزول والإتيان والمجيء والتكوين ونحوها قديمة عند سلف الأمة وأئمتها، لله ذي الجلال والإكرام ،ليس منها شيء محدث وإلا لكان محلاً للحوادث وما حلت به الحوادث ، فهو حادث، تعالى الله عن ذلك . انتهى .

فأقول : اعلم أنا قد قدمنا فيما قبل من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وكلام تلميذه ابن القيم الذين هم سادات الحنابلة وأئمتهم ما فيه الكفاية ، ولكن لا بد من التنبيه على بعض ذلك ليتبين لك أن نسبة ذلك إلى سلف الأمة وأئمتها من الكذب عليهم وإنما هو كلام سلف أئمة أهل البدع والضلال الذين ينتسبون إلى مذهب أهل السنة والجماعة . فمن ذلك أن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ذكرا أن مذهب السلف وأئمتها أن أفعال الله -

سبحانه وتعالى - قديمة النوع حادثة الآحاد ، وأن الله سبحانه لم يزل متكلمًا إذا شاء ، ولم يزل فاعلاً إذا شاء ، أو لم تزل الإرادات والكلمات تقوم بذاته شيئًا بعد شيء ، ونحو ذلك .

فإذا عرفت هذا تبين لك أن قول الشارح في أفعال الله الاختيارية : ليس منها شيء محدث ، وإلا كان محلاً للحوادث، وما حلت به الحوادث فهو حادث ، تعالى الله عن ذلك ، ليس هو من كلام السلف وأئمتها ؛ بل هو من كلام أهل البدع المخالفين للسلف كما قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - وأما حلول الحوادث فيريدون به أنه لا يتكلم بقدرته ومشيئته ، ولا ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ، ولا يأتي يوم القيامة ولا يجيء ، ولا يغضب بعد أن كان راضيًا ، ولا يرضى بعد أن كان غضبان ، ولا يقوم به فعل البتة ، ولا أمر مجدد بعد أن لم يكن ، ولا يريد شيئًا بعد أن لم يكن مريدًا له ، فلا يقول له كن حقيقة ، ولا استوى على عرشه بعد أن لم يكن مستويًا ، ولا يغضب يوم القيامة غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولا ينادي عباده يوم القيامة بعد أن لم يكن مناديًا ، ولا يقول للمصلي إذا قال: ﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ «حمدني عبدي »،

فإذا قال : ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قال : «أثنى علي عبدي » ، فإذا قال : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قال : « مجدني عبدي » فإن هذه كلها حوادث ، وهو منزه عن حلول الحوادث) انتهى . وقد تقدم كلام شيخ الإسلام وفيه الكفاية .

ثم إن من المعلوم عند من له إلمام بالمعارف والعلوم أن نزول الله سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر ، وكذلك مجيئه لفصل القضاء بين العباد يوم القيامة لم يكن قديمًا قبل أن يخلق السموات والأرض في الأزل ، بل ذلك فيما لم يزل إلى يوم القيامة بمشيئته وقدرته وإرادته كما يشاء أن ينزل وكما يشاء أن يجيء ، ويأتي على ما يليق بعظمته وجلاله ، ومن تأمل كلام شمس الدين ابن القيم حق التأمل تبين له ما قاله أئمة السلف ، وتبين له أيضًا ما يقوله أئمة أهل البدع ، وما تحت ألفاظهم المجملة التي لم ينطق بها كتاب ولا سنة ولم يتكلم بها أصحاب رسول الله ﷺ ولا التابعون ولا من بعدهم من الأئمة المهتدين والله أعلم .

وكذلك ما قاله الشارح بعد هذا : قال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه

ليس لأحد أن يفسره إلا اللـه ورسوله ﷺ ، فأقول : قد تقدم الكلام على ذلك ، وإنما مقصود السلف بذلك تأويله وصرفه عن ظاهره ، وأما قولـه وسمع الإمام أحمد - رحمه الـله - شخصًا يروي حديث النـزول ويقول : ينزل بغير حـركة ولا انتقال، ولا تغير حـال ، فأنكر الإمام أحمـد عليه ذلك وقال : قـل كما قال رسول الله ﷺ ، فهو كان أغير على ربه منك .

فأقول : نعم قد كان أحمد ينـكر هذه الألفاظ التي لم يأت بها كتاب ولا سنة ، ولا نطق بها أصحاب رسول الله ﷺ ولا من بعدهم من التابعين وكان يحـب السكوت عن ذلك كما قدمنا ذلك عنه في الحد .

ولأئمة الـسلف ومنهم أحـمد كلام في الحركة والانـتقال، فنذكـر من ذلك ما يـتبين به صـحة مذهب الـسلف وبطـلان ما خالفـهم من كلام أهـل البدع . قال شيـخ الإسلام ابن تيـمية - قدس الله روحـه - في العقل والنـقل بعد كلام طويـل قال فيه: (والفعـل صفة كمال لا صفـة نقص ، كالكلام والـقدرة ، وعدم الفعل صفة نـقص كعدم الكلام وعدم القدرة ، فدل الـعقل على صحة ما دل عـليه الشرع وهو المـطلوب . وكان الناس قـبل أبي

محمد بن كلاب صنفين ، فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها ، ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي وأبو الحسن الأشعري وغيرهما وأما الحارث المحاسبي فكان ينتسب إلى قول ابن كلاب ولهذا أمر أحمد بهجره ، وكان أحمد يحذر عن ابن كلاب وأتباعه، ثم قيل عن الحارث إنه رجع عن قوله ، وقد ذكر الحارث في كتاب فهم القرآن عن أهل السنة في هذه المسألة قولين ، ورجح قول ابن كلاب ، وذكر ذلك في قوله تعالى : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1] وأمثال ذلك .

وأئمة السنة والحديث على إثبات النوعين ، وهو الذي ذكره عنهم من نقل مذهبهم كحرب الكرماني وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما ، بل صرح هؤلاء بلفظ الحركة وأن ذلك هو مذهب أئمة السنة والحديث من المتقدمين والمتأخرين، وذكر حرب

(١) سورة التوبة الآية : ١٠٥ .

الكرماني قول من لـقيه من أئمة السنة كأحمد بـن حنبل وإسحاق ابن راهويه وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد ابن منصور، وقال عثمـان بن سعيـد وغيره : إن الحركة مـن لوازم الحياة فـكل حي متحرك ، وجعلوا نفي هذا من أقوال الجـهمية نفاة الصفات الذين اتفق السلف والأئمة على تضليلهم وتبديعهم ، وطائفة أخرى من السلفيين كنعيم بن حمـاد الخزاعي ، والبخاري صاحب الصحيح وأبي بكر ابن خزيمة وغيرهم كأبي عمر بن عبد البر وأمثاله يثبتون المعنى الذي يثبته هؤلاء ويسمون ذلك فعلاً ونحوه لكن يمنعون عن إطلاق لفظ الحركة لكونه غير مـأثور، وأصحاب أحمد منهم من يوافق هؤلاء كأبي بكر عبد العزيز وأبي عبدالله بن بطة وأمثالهما، ومنهم من يوافق الأولين كأبي عبد الله بن حامد وأمثاله ، ثم ذكر كلامًا طـويلاً إلى أن قال: وقـال أبو محمـد حرب بن إسمـاعيل الكـرماني في مـسائله المـعروفة التـي نقلهـا عن أحمد وإسـحاق وغيرهمـا ، وذكر معهما مـن الآثار عن النبي ﷺ والـصحابة وغيرهم مـا ذكر ، إلى أن قال : وأدركت من أدركت مـن علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائـلها فهو مبتدع ، خارج من

الجماعة ، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق وهو مذهب أحمد وإسحاق وإبراهيم بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي ، وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم وذكر الكلام في الإيمان والقدر والوعيد والإمامة، وما أخبر به الرسول من أشراط الساعة ، وأمر البرزخ والقيامة وغير ذلك إلى أن قال: وهو سبحانه بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان ولله عرش وللعرش حملة يحملونه ، وله حد، الله أعلم بحده .

والله على عرشه عز ذكره وتعالى جده ولا إله غيره، والله تعالى سميع لا يشك، بصير لا يرتاب، عليم لا يجهل، جواد لا يبخل حليم لا يعجل، حفيظ لا ينسى، يقظان لا يسهو، رقيب لا يغفل، يتكلم ويتحرك ويسمع ويبصر وينظر ويقبض ويبسط ويحب ويكره ويبغض ويرضى ويسخط ويغضب ويرحم ويعفو ويغفر ويعطي ويمنع وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء وكما شاء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ إلى أن قال: ولم يزل متكلمًا عالمًا: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ا. هـ.

والمقصود أنه ذكر عن أئمة السلف في أفعال الله الاختيارية التي تتعلق بمشيئته وقدرته وإرادته الحركة ، فليس لنا أن نعدل عن

قولهم ونأخذ بمذاهب أهل البدع وآرائهم) .

وقال شيخ الإسلام أيضًا في العقل والنقل : (وقال عثمان ابن سعيد الدارمي في كتابه المعروف بـ (نقض عثمان ابن سعيد، على المريسي الجهمي العنيد ، فيما افترى على الله في التوحيد) قال : وادعى المعارض أيضًا أن قول النبي ﷺ : « إن الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل فيقول: هل من مستغفر؟ هل من تائب ؟ هل من داع؟»[1] قال: وادعى أن الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته ، وهو على العرش وبكل مكان من غير زوال ، لأنه الحي القيوم ، والقيوم بزعمه من لا يزول قال : فيقال لهذا المعارض: وهذا أيضًا من حجج النساء والصبيان ، ومن ليس عنده بيان ، ولا لمذهبه برهان ، لأن أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت وأوان ، فما بال

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٨٧) والبخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٨٠) وابن ماجة (١٣٦٦) والدارمي (١/ ٣٤٧) والطيالسي في مسنده (٢٢٣٢) وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٢٧) وابن الطبري اللالكائي (٤٣٥، ٤٣٦) في أصول السنة ، والآجري في الشريعة (ص٣١٢) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٤٩) وفي السنن (٣/ ٢) .

النبي ﷺ يحد لنزوله الليل دون النهار ويوقت من الليل شطره والأسحار ؟ ، أفأمره ورحمته يدعوان العباد إلى الاستغفار ، أو يقدر الأمر والرحمة أن يتكلما دونه فيقولا : «هل من داع فأجيبه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ » فإن أقررت مذهبك لزمك أن تدعي أن الرحمة والأمر هما اللذان يدعوان العباد إلى الإجابة والاستغفار بكلامه دون الله وهذا محال عند السفهاء ، فكيف عند الفقهاء؟ قد علمتم ذلك ولكن تكابرون، وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطر الليل، ثم يمكثان إلى طلوع الفجر ثم يرفعان لأن رفاعه راويه يقول في حديثه: «حتى ينفجر الفجر»[1] (قد علمتم إن شاء الله تعالى أن هذا التأويل باطل، ولا يقبله إلا ساه، وأما دعواك أن تفسير القيوم الذي لا يزول عن مكانه ولا يتحرك فلا يقبل منكم هذا التفسير إلا بأثر صحيح مأثور عن رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه أو التابعين، لأن الحي القيوم يفعل ما شاء ويتحرك إذا شاء ويهبط ويرتفع إذا شاء،

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٦٥ ، ٢٦٧) والبخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) وأبو داود (٣١٥ ، ٤٧٣٣) والترمذي (٣٤٩٣) وأبو يعلى الموصلي في مسنده (١١٨٠) والدارمي (١/ ٣٤٧) .

ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء، لأن أمارة ما بين الحي والميت التحرك، كل حي متحرك لا محالة وكل ميت غير متحرك لا محالة.

ومن يلتفت إلى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة ، ورسول رب العزة ؟ إذ فسر نزوله مشروعًا منصوصًا ، ووقت لنزوله وقتًا مخصوصًا ، لم يدع لك ولأصحابك فيه لعبًا ولا عويصًا) انتهى ، والله أعلم .

ومنها ما ذكره الشارح في صفحة ثلاثة وثلاثين على قول الناظم .

وكل ما يفعله العباد

من طاعة أو ضدها مراد

لربنا من غير ما اضطرار

منه لنا فافهم ولا تمار

قال الشارح : وكل ما ، أي فعل يفعله العباد من طاعة، وهي متعلق المدح في العاجل ، والثواب في الآجل، أو ضدها أي وكل ما يفعله من ضد الطاعة ، وهي المعصية يعني ما فيه ذم في العاجل ، وعقاب أو لوم في الآجل مراد لربنا تعالى داخل

تحت إرادته ومشيئته ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير . انتهى .

فأقول : اعلم - وفقك الله تعالى - أن الشارح والناظم أطلقا لفظ الإرادة من غير تفصيل ولا بيان وهو كلام مجمل موهم من جنس ما تقدم من الألفاظ التي نبهنا عليها من كلام أهل البدع ، فإن الظاهر من هذا اللفظ الذي أطلقه الشارح والناظم إنما يراد به الإرادة الكونية القدرية ، وفي المسألة تفصيل قد ذكره المحققون من أهل العلم ، لأن الإرادة إرادتان: إرادة كونية قدرية ، وإرادة دينية شرعية .

وبيان ذلك بما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - في منهاج السنة حيث قال :

(الوجه الثالث طريقة الأئمة الفقهاء وأهل الحديث وكثير من أهل النظر وغيرهم أن الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة تتعلق بالأمر ، وإرادة تتعلق بالخلق ، فالإرادة المتعلقة بالأمر : أن يريد من العبد فعل ما أمر به ، وأما إرادة الخلق: فأن يريد ما يفعله هو ، فإرادة الأمور هي المتضمنة للمحبة والرضا ، وهي الإرادة الدينية ، والإرادة المتعلقة بالخلق هي المشيئة ، وهي الإرادة

الكونية القدرية ، فالأولى كقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[1] وقوله : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾[2] إلى قوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾[3] وقوله : ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[4] الآية ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾[5] الآية ، والثانية كقوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[6] وقوله : ﴿وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[7] ومن هذا النوع قول المسلمين : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ومن الأول كقولهم لمن يفعل القبائح : هذا يفعل ما لا يريده الله منه ، فإذا كان كذلك فالكفر والفسوق والعصيان ليس مراداً للرب عز وجل بالاعتبار الأول ،

(١) سورة البقرة الآية : ١٨٥

(٢) سورة النساء الآية : ٢٦ .

(٣) سورة النساء الآية : ٢٨ .

(٤) سورة المائدة الآية : ٦

(٥) سورة الأحزاب الآية :٣٣

(٦) سورة الأنعام الآية : ٢٥

(٧) سورة هود الآية : ٣٤ .

والطاعة موافقة لتلك الإرادة وموافقة للأمر المستلزم لتلك الإرادة، فأما موافقة مجرد النوع الثاني فلا يكون به مطيعًا وحينئذ فالنبي يقول له إن الله يبغض الكفر ولا يحبه ولا يرضاه لك أن تفعله ، ولا يريده بهذا الاعتبار ، والنبي ﷺ يأمره بالإيمان الذي يحبه الله ويرضاه له ويريده بهذا الاعتبار) ثم ذكر كلامًا طويلاً في منهاج السنة في الجزء الثاني من المجلد الأول في صفحة اثنين وعشرين ، فمن أراد الوقوف عليه فليراجعه في محله .

وقال أيضًا - رحمه الله تعالى - في موضع آخر وقد قسم الإرادة أربعة أقسام ، فقال رحمه الله :

(الأول : ما تعلقت به الإرادتان ، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة ، فإن الله تعالى أرادها إرادة دين وشرع ، فأمر به وأحبه ورضيه وأراده إرادة كون ، فوقع ولولا ذلك لما كان.

الثاني : ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط ، وهو ما أمر الله به من الأعمال الصالحة ، فعصى ذلك الأمر الكفار والفجار ، فتلك كلها إرادة دين ، وهو يحبها ويرضاها لو وقعت ولم تقع.

الثالث : ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط ، وهو ما قدره

وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها ، كالمباحات والمعاصي ، فإنه لم يأمر بها ولم يرضها ولم يحبها ، إذ هو لا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لما كانت ولما وجدت فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

الرابع : من أقسام الإرادة الذي لم تتعلق به هذه الإرادة ولا هذه ، فهذا ما لم يكن من أنواع المباحات والمعاصي). انتهى .

إذا تبين لك هذا فاعلم أن قول الناظم والشارح يوافق ما قالته القدرية الجبرية حين ردوا ما قالته القدرية النفاة لما أنكروا القدر وزعموا أن الأمر أنف ، فقابلهم أولئك بالقول بالجبر ، وأنهم لا يخرجون عن قدره وقضائه ، نظرًا منهم إلى أن الأمر كائن بمشيئة الله وقدره ، وإن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وإنه تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه ، ولا يكون في ملكه شيء إلا بقدرته وخلقه ومشيئته كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (١) ، ﴿ مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (٢)

(١) سورة القمر الآية : ٤٩ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١١١ .

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾[1] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[2]
ونحو ذلك من الآيات ولا ريب أن هذا أصل عظيم من أصول الإيمان ، لابد منه في حصول الإيمان وبإنكاره ضلت القدرية النفاة، وخالفوا جميع الصحابة وأئمة الإسلام ، لكن لا بد معه من الإيمان بالإرادة الشرعية الدينية التي نزلت بها الكتب الإيمانية، ودلت عليها النصوص النبوية ، وأئمة المسلمين قد أثبتوا هذه وهذه ، وذكروا الجمع بينهما ، وآمنوا بكل من الأصلين ، فَتَفَطَّن، فهذا الموضع يزيل عنك إشكالات كثيرة ، والله سبحانه وتعالى أعلم.



(١) سورة الأنعام الآية : ١١٢ .

(٢) سورة الإنسان : ٣٠ وسورة التكوير : ٢٩ .

فصل

ومنها ما ذكره الشارح في صفحة خمس وثلاثين على قول الناظم :

وجاز للمولى يعذب الورى
من غير ما ذنب ولا جرم جرى

إلى آخره .

قال الشارح : وجاز للمولى جل جلاله - وهو رب العالمين- (يعذب الورى) أي الخلق (من غير ما ذنب) ، أي إثم، (ولا جرم)، هو بمعنى ما قبله وعطفه عليه لزيادة البيان (جرى) من العدم إلى قوله : حتى إثابة العاصي وعقوبة المطيع، إلى قوله : لأنه تعالى لو عذبهم لعذبهم بعدله الخالص من شائبة الظلم ؛ لأنه تعالى تصرف في ملكه ، والعدل وضع الشيء في محله من غير اعتراض على الفاعل، عكس الظلم. . . إلى آخر كلامه .

فأقول : اعلم وفقك الله أن هذا الكلام الذي قاله الناظم والشارح يخالف ما قاله المحققون من أهل العلم ، بل هو من كلام أهل البدع الذين قابلوا باطلاً بباطل المخالفين لأئمة السلف -

رضوان اللـه تعالى علـيهم - . قال شـيخ الإسلام ابن تيـمية - قدس الله روحه - بعد كلام له سبق :

(وهذه النصوص النافية للظـلم تثبت العدل في الجزاء وأنه لا يبخـس عاملاً عملـه ، وكذلك قولـه فيمن عاقـبهم : ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾[1] وقوله : ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾[2] بينّ أن عقاب المجرمين عدلاً لذنوبهم لا لأنا ظلمناهـم فعاقبناهم بغير ذنب. والحـديث الذي في السنن : «لو عذب الله أهل سمواته وأرضه لعـذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمتـه لهم خيرًا من أعمالهم)[3] يبين أن العذاب لو وقع لكان لاستحقاقهم ذلك لا لكونه بغير ذنب .

وهذا يـبين أن من الظـلم المنـفي عقـوبة من لم يـذنب . وكذلك قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ

---

(١) سورة هود الآية : ١٠١ .

(٢) سورة الزخرف : ٧٦ .

(٣) أخـرجه الإمـام أحمـد (٥/ ١٨٢ ، ١٨٩) وابن مـاجة (٧٧) وأبـو داود (٤٦٩٩) والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ١٧٨) .

يَوْمِ الأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾[1] يبين أن هذا العقاب لم يكن ظلمًا، بل لاستحقاقهم ذلك ، وأن الله لا يريد الظلم. والأمر الذي لا يمكن القدرة عليه لا يصلح أن يمدح الممدوح بعدم إرادته ، وإنما يكون المدح بترك الأفعال إذا كان الممدوح قادرًا عليها ، فعلم أن الله قادر على ما نزه نفسه عنه من الظلم وأنه لا يفعله ، وبذلك يصح قوله : « إني حرمت الظلم على نفسي »[2] وأن التحريم هو المنع . وهذا لا يجوز أن يكون فيما هو ممتنع لذاته ، فلا يصلح أن يقال: حرمت على نفسي أو منعت نفسي من خلق مثلي ، أو جعل المخلوقات خالقة ، ونحو ذلك من المحالات ، وأكثر ما يقال في تأويل ذلك ، ما يكون معناه أني أخبرت عن نفسي بأن ما لا يكون مقدورًا لا يكون مني ، وهذا المعنى مما يتيقن المؤمن أنه ليس مراد الرب ، وأنه يجب تنزيه الله ورسوله عن إرادة مثل هذا المعنى الذي لا يليق الخطاب بمثله ، إذ هو مع كونه شبه التكرير وإيضاح الواضح ليس فيه مدح ولا ثناء ولا ما يستفيده المستمع ، فعلم أن الذي حرمه على نفسه هو أمر مقدور عليه ،

(١) سورة غافر الآية : ٣١ - ٣٢ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٦٠) وعبد الرزاق (٢٠٧٢) بإسناد صحيح .

لكنه لا يـفعله ؛ لأنه حرمه علـى نفسه ، وهو سبحانـه منزه عن فعله مقدس عنه يبين أن ما قاله الناس في حدود الظلم يتناول هذا دون ذلك كقول بعضهم : الظلـم وضع الشيء في غير موضعه ، كقولـهم : من أشبـه أباه فما ظـلم ، أي فما وضـع الشبه غـير موضعه . ومعلوم أن الله سبـحانه حكم عدل لا يضع الأشياء إلا مواضعهـا ، ووضعها غير مواضعـها ليس ممتنعًا لـذاته ، بل هو ممكن لكنه لا يفعله ، لأنه لا يريـده بل يكره ويبغضه إذ قد حرمه على نفسه .

وكذلك من قال : الظلم إضرار غـير مستحق ، فإن الله لا يعاقب أحدًا بغير حق ، وكذلك من قال : هو نقص الحق، وذكر أن أصله النقص كقوله : ﴿ **كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا** ﴾[(١)] وأما من قال : هو التصرف في مـلك الغير، فهذا ليس بمطرد ولا منعكس ، فقد يتصرف الإنسان في ملك غيره بحق ولا يكون ظالمًا ، وقد يتصرف في ملكه بغير حق فيكون ظالمًا . وظلم العبـد نفسَه كـثيرٌ في الـقرآن . وكذلك مـن قال : فعل المـأمور خلاف ما أمر به ، ونـحو ذلك. أتسلم صحة مـثل هذا الكلام ؟

---

(١) سورة الكهف : الآية ٣٣ .

فالله سبحانه قد كتب على نفسه الرحمة ، وحرم على نفسه الظلم ، فهو لا يفعل خلاف ما كتب ، ولا يفعل ما حرم . وليس هذا الجواب موضع بسط هذه الأمور التي نبهنا عليها فيه ، وإنما نشير إلى النكت .

وبهذا يتبين القول المتوسط وهو : إن الظلم الذي حرمه الله على نفسه مثل أن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها ، ويعاقب البريء على ما لم يفعل من السيئات ، ويعاقب هذا بذنب غيره ، أو يحكم بين الناس بغير القسط ، ونحو ذلك من الأفعال التي ينزه الرب عنها لقسطه وعدله وهو قادر عليها، وإنما استحق الحمد والثناء لأنه ترك هذا الظلم وهو قادر عليه . وكما أن الله منزه عن صفات النقص والعيب ، فهو أيضًا منزه عن أفعال النقص والعيب، وعلى قول الفريق الثاني ما ثم فعل يجب تنزيه الله عنه أصلا ، والكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها يدل على خلاف ذلك ، إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى . فمن أراد الوقوف عليه فهو في المجلد الأول من الفتاوى في صفحة اثنتين وأربعين وثلاثمائة .

إذا تحققت هذا وتبين لك من شيخ الإسلام ابن تيمية -

قدس الله روحه - أن الله - سبحانه وتعالى - لا يعذب أحداً من عباده بغير ذنب ، لأنه نزه نفسه عن ذلك ، فلا يريده بل يكرهه ويبغضه لأنه حرمه على نفسه وإن كان قادراً عليه ، فتبين بهذا خطأ الناظم والشارح ، حيث توهما أن ذلك جائز بغير ذنب ولا جرم استحق به العقاب والعذاب ، فإن هذا هو حقيقة قول الفريق الثاني الذين قابلوا باطلاً بباطل، حيث قالوا ما ثم فعل يجب تنزيه الله عنه أصلاً .

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في شفاء العليل : (في مناظرة جرت بين سني وجبري ، قال السني في جواب الجبري : وصرحت بأنه يجوز عليه أن يعذب أشد العذاب لمن لم يعصه طرفة عين ، فإن حكمته ورحمته لا تمنع ذلك بل هو جائز عليه ، ولولا خبره عن نفسه بأنه لا يفعل ذلك لم تنزهه عنه وقلت : إن تكليفه عباده بما كلفهم به بمنزلة تكليف الأعمى للكتابة والزَّمِن للطيران ، فبغضت الرب إلى من دعوته إلى هذا الاعتقاد ونفرته عنه ، وزعمت أنك تقرر بذلك توحيده ، وقد قلعت شجرة التوحيد من أصلها ، وأما منافاة الجبر للشرائع فأمر ظاهر لاخفاء به ، فإن مبنى الشرائع على الأمر والنهي وأمر الآمر

لغيره بفعل نفسه لا بفعل المأمور ونهيه عن فعله لا فعل المنهي عبث ظاهر ، فإن متعلق الأمر والنهي فعل العبد وطاعته ومعصيته، فمن لا فعل له كيف يتصور أن يوقعه بطاعة أو معصية، وإذا ارتفعت حقيقة الطاعة والمعصية ارتفعت حقيقة الثواب والعقاب ، وكان ما يفعله الله بعباده يوم القيامة من النعيم والعذاب أحكامًا جارية عليهم لمحض المشيئة والقدرة لا أنها بأسباب طاعتهم ومعاصيهم . بل هاهنا أمر آخر وهو أن الجبر مناف للخلق كما هو مناف للأمر ، فإن الله سبحانه له الخلق والأمر ، وما قامت السموات إلا بعدله فالخلق قام بعدله وبعدله ظهر ، كما أن الأمر بعدله وبعدله وجد ، فالعدل سبب وجود الخلق والأمر وغايته ، فهو عليه الفاعلية الغائية والجبر لا يجامع العدل ولا يجامع الشرع والتوحيد . انتهى.

والمقصود من هذا أنه نفى تجويز عذاب الله عباده على ما لم يفعلوه من الذنوب والجرائم ، وقد نزه الله نفسه عن ذلك ، لأنه لا يريده بل يكرهه ويبغضه ، والله سبحانه وتعالى أعلم).

وقال أيضًا - رحمه الله - في عدة الصابرين على قوله سبحانه : ﴿ **مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ**

شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾[1] : (كيف يجد في ضمن هذا الخطاب أن شكره تعالى يأبى تعذيب عباده سدى بغير جرم كما يأبى إضاعة سعيهم باطلاً ، فالشكور لا يضيع أجر محسن ، ولا يعذب غير مسيء ، وفي هذا رد لقول من زعم أنه يكلف عبده ما لا يطيقه ثم يعذبه على ما لا يدخل تحت قدرته ، تعالى الله عن هذا الظن الكاذب والحسبان الباطل علواً كبيراً، فشكره سبحانه اقتضى أن لا يعذب المؤمن الشكور ولا يضيع عمله ، وذلك من لوازم هذه الصفة ، فهو منزه عن خلاف ذلك كما تنزه عن سائر العيوب والنقائص التي تنافي كماله وغناه وحمده) انتهى .

وأما قول الشارح : واستدل بقوله تعالى حكاية عن عيسى- عليه السلام - : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾[2] فأقول : هذه الآية لا تدل على ما توهمه الشارح من أنه جائز لله أن يعذب عباده من غير ما ذنب ولا جرم استحقوا به ، بل الآية تدل على خلافه ، كما تقدم بيانه مبيناً مفصلاً .

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في مدارج السالكين

(١) سورة النساء الآية : ١٤٧ .

(٢) سورة المائدة الآية : ١١٨ .

على هـذه الآية ، في صفحة مـائتين وإحدى عشـر : (وهذا من أبلغ الأدب مـع الله في مثل هـذا المقام ، أي شأن السيـد رحمة عبيده والإحسان إليهم ، وهؤلاء عبيدك ليسوا عبيداً لغيرك ، فإذا عذبتهم مع كونهم عبيدك ، فلولا أنهم عبيد سوء من أنجس العبيد وأعتاهم على سيدهم وأعصاهم له لم يعذبهم ، لأن قربة العبودية تستدعي إحسـان السيد إلى عبده ورحمته له فـلماذا يعذب أرحم الراحمين وأجـود الأجودين وأعظم المحسـنين إحسانًا عبـيده لولا فرط عتوهم وإبائهم عن طاعته وكـمال استحقاقهم للعذاب ؟ وقد تقدم قوله : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[1] أي : هم عبادك ، وأنت أعلم بسرهم وعـلانيتهم ، فإذا عذبتهم عذبتـهم على علم منك بما تعذبهم عليه، فهم عبادك وأنت أعلم بما جنوه واكتسبوه، فليس في هذا استعطاف لهم كـما يظنه الجهال ، ولا تفويض إلى محض المشيئة والملك المجرد عن الحكـمة كما تظنه القدرية ، وإنما هو إقرار واعتراف وثناء عليه بحكمته وعدله وكمال علمه بحالهم واستحقاقهم للعذاب . .) إلى آخر كلامه - رحمه الله تعالى - .

---

(١) سورة المائدة الآية : ١٠٩ .

فصل

ومنها ما ذكره في القول السديد على قوله : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ ﴾[1] فقال : (ومعنى الإيمان بالله أن تعتقد أنه هو الإله المعبود الذي لا يستحق العبادة أحد سواه، ومعنى الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله. .) إلى آخر كلامه .

فأقول : اعلم وفقك الله ، أنه لا يكفي في الإيمان بالله مجرد الاعتقاد بالقلب فقط ، فإن هذا هو مذهب الجهمية ومن تبعهم من أهل الكلام ؛ بل لا بد مع ذلك من نطق اللسان واعتقاد الجنان والعمل بالأركان ، فإن اعتقاد القلب وحده لا يكفي في النجاة ، بل هو مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة وأئمة الحديث وغيرهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - في كتاب الإيمان : (ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان ، فتارة يقولون : هو قول وعمل ، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية ، وتارة يقولون : قول وعمل ونية واتباع السنة ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .

وتارة يقولون : قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ، وكل هذا صحيح ، فإذا قالوا : قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعًا ، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك . . - إلى أن قال : - والمقصود هنا أن من قال من السلف : الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ، ومن أراد أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ، ومن قال : قول وعمل ونية ، قال : القول يتناول ذلك ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلا باتباع السنة ، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل وإنما أرادوا ما كان مشروعًا من الأقوال والأعمال ، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط ، فقالوا : بل هو قول وعمل ، والذين جعلوه أربعة فسروا مرادهم ، كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو ؟ فقال : قول وعمل ونية وسنة ، لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر ، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق وإذا كان قول وعمل ونية بلا اتباع سنة فهو بدعة).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتاب الصلاة :

(وههنا أصل آخر وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان : قول القلب وهو الاعتقاد ، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام ، والعمل قسمان : عمل القلب وهو نية وإخلاص ، وعمل الجوارح ، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله ، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء ، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها ، وكونها نافعة. .) إلى آخر كلامه - رحمه الله - إذ المقصود بهذا التنبيه، فمن . .) أراد الكلام بتمامه فليراجعه هناك .

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - في كشف الشبهات ما ذكره بقوله : (ولنختم الكلام إن شاء الله بمسألة عظيمة مهمة جداً - فذكر كلامًا ثم قال-: فنقول: لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلمًا ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما. . . - إلى أن قال : - فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهرًا وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق ، وهو شر من الكافر الخالص. .) إلى آخر كلامه وكذلك الكفر بالطاغوت لا يكفي

في ذلك مجرد اعتقاد القلب فقط .

كما قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد : (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان ، وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾[1] - قال في المسائل في معنى الطاغوت : الرابعة : وهي من أهمها ، ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت ؟ هل هو اعتقاد القلب ، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها ؟) انتهى .

فإذا تبين لك هذا فاعلم أن اعتقاد بطلان عبادة غير الله لا يكفي في النجاة وحده ، بل لا بد مع ذلك من تكفيرهم والبراء منهم ومن دينهم ، والتصريح لهم بذلك وإظهار العداوة والبغضاء لهم ، كما قال شيخنا الشيخ عبد الرحمن ابن حسن ، على ما ذكره شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بقوله : (أصل الإسلام وقاعدته أمران :

الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه .

---

(١) سورة النساء الآية : ٥١ .

الثاني : الإنذار عن الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله .. - فذكر كلامًا طويلاً ثم قال - رحمه الله تعالى - :

وقد وسم أهل الشرك بالكفر فيما لا يحصى من الآيات، فلا بد من تكفيرهم ، وأيضًا هذا هو مقتضى « لا إله إلا الله » - كلمة الإخلاص- فلا يتم معناها إلا بتكفير من جعل لله شريكًا في عبادته كما في الحديث الصحيح : «من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله»[1] فقوله : وكفر بما يعبد من دون الله تأكيد للنفي فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردد لم يعصم دمه وماله ، فهذه الأمور هي : تمام التوحيد ؛ لأن « لا إله إلا الله » قيدت في الأحاديث بقيود ثقال بالعلم والإخلاص والصدق واليقين وعدم الشك ، فلا يكون المرء موحدًا إلا باجتماع هذا كله، واعتقاده وقبوله ومحبته والمعاداة فيه والموالاة) . انتهى .

ثم إني بعدما حررت هذه الكلمات وقفت على ما ذكره في

(١) أخرجه مسلم (٢٣) و (٣٧) والإمام أحمد في المسند (٣/ ٤٧٢ و ٦/ ٣٩٤ و ٣٩٥).

القول السديد أن أركان الإيمان ثلاثة : قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان .

فقلت من التعجب : ليت شعري

أأيـــقـــاظ أمـــــية أم نـيـــام

فإذا كان هذا هو الحــق وتعتقد أنها أركان الإيمــان ، فكيف ساغ لك أن تــذكر أن معنــى الإيمان بالله أن تــعتقد أنــه هو الإله المعبود الذي لا يستحق العبادة أحد سواه ، وقد ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الــله - في كشف الشبهات ، أنه لا خلاف أن التوحيــد لا بد أن يكون بالقلب واللــسان والعمل ، فإن اختل شيء مــن هذا لم يكن الرجل مسلمًــا ، وأنت لم تذكر في معنى الإيمان بالله في هذا الموضع إلا ركنًا واحدًا وهو الاعتقاد فقط ، وقد علمت أنه لا بد من الركنين الآخرين ، لأنه لا يكون الرجل مــسلمًا إلا بالــقيام بهــذه الأركان الثلاثة ، وقــد تقدم أن مذهب الجهميــة هو التصديق فقط ،وتقدم أقوال أئــمة السلف في معنى الإيمان ، فلا بد من المصير إلى ما ذكروه وقرروه ، وكذلك ما ذكرته في معنى الطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله ، وقد كان مــن المعلوم أنــه لا بد مع ذلك مــن تكفيــر من فعل الــشرك

والبراءة منه ، والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء ، فتأمل ذلك والله الموفق للصواب .

ومنها ما ذكره في الكواكب في صفحة العشرين حيث قال في البصر : (ولا على سبيل تأثر حاسة) .

فأقول : اعلم أن هذه اللفظة من جملة الألفاظ المخترعة المبتدعة التي لم ينطق بها السلف - رضوان الله عليهم - لا نفيًا ولا إثباتًا ، فاعلم ذلك .

وكذلك ما ذكره الشارح بقوله في السمع والبصر أنهما صفتان زائدتان على الذات ، وهذا القول الذي ذكره الشارح من أقوال أهل البدع كالأشاعرة وغيرهم ، وكما ذكره شيخ الإسلام عن ابن رشد وغيره، وإذا كان من المعلوم بالاضطرار أن السمع والبصر من الصفات اللازمة القائمة بذات الرب سبحانه وتعالى ، فكيف يجوز أن يقال إنهما صفتان زائدتان على الذات ، وهذا من أمحل المحال وأبطل الباطل فإن ما كان من الصفات زائدًا على الذات لا يكون منها؛ بل يكون مفارقًا لها ، ومن المعلوم أن ما كان مفارقًا للذات لا يكون من الصفات القائمة بذاته ، بل يكون مخلوقًا من مخلوقاته تعالى الله عن ذلك علواً كبيرًا .

وقد قال الشيخ الإمام عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى- في رده على الزيدية لما أثبت الصفات اللازمة القائمة بذات الله : (قال الزيدي : فإن تُرِدْ أنها تدل على صفات ، زائدة على الذات لزمك ما لزم الأشاعرة، وهو أن يكون مع الله قدماء وهي المعاني التي لحقت ذاته تعالى بالوصف ونحن نبرأ من هذا نحن وأنت) .

قال الشيخ عبد الله في جوابه : (فيقال : أهل السنة والجماعة يقولون : إن الله تبارك وتعالى موجود كامل بجميع صفاته فإذا قال القائل : دعوت الله أو عبدت الله كان اسم الله متناولاً للذات المتضمنة لصفاتها ، ليس اسم الله اسمًا لذات مجردة عن صفاتها اللازمة لها ، وحقيقة ذلك أنه لا يكون نفسه إلا بنفسه ، ولا تكون ذاته إلا بصفاته ، ولا يكون نفسه إلا بما هو داخل في مسمى اسمها ، ولكن قول القائل: إنه يلزم أن يكون مع الله قدماء ، تلبيس : فإن ذلك يشعر أن مع الله قدماء منفصلة عنه ، وهذا لا يقوله إلا مَن هو مِن أكفر الناس وأجهلهم بالله كالفلاسفة ؛ لأن لفظ الغير يراد به ما كان مفارقًا له بوجود أو زمان أو مكان ، ويراد به ما أمكن العلم به دونه ، فالصفة لا

تسمى غيراً له ، فعلى المعنى الأول يمتنع أن يكون معه غيره ، وأما المعنى الثاني فلا يمتنع أن يكون وجوده مشروطًا بصفات ، وأن يكون مستلزمًا لصفات لازمة له ، وإثبات المعاني القائمة التي يوصف بها الذات لا بد منها لكل عاقل ولا خروج عن ذلك إلا بجحد وجود الموجودات مطلقًا ، وأما من جعل وجود العلم هو وجود القدرة ، ووجود القدرة هو وجود الإرادة ، فطرد هذه المقالة يستلزم أن يكون وجود كل شيء هو عين وجود الخالق تعالى ، وهذا منتهى الاتحاد وهو مما يعلم بالحس والعقل والشرع أنه في غاية الفساد ، ولا مخلص من هذا إلا بإثبات الصفات ، مع نفي مماثلة المخلوقات ، وهو دين الذين آمنوا وعملوا الصالحات - ثم ذكر كلامًا طويلاً تركناه خشية الإطالة - .

وقال الإمام أحمد في الرد على الزنادقة : (فقالت الجهمية لنا - لما وصفنا الله - : هذه الصفات إن زعمتم أن الله ونوره والله وعظمته والله وقدرته ، فقد قلتم بقول النصارى حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره ولم يزل وقدرته فقلنا : لا نقول إن الله لم يزل وقدرته ونوره ، ولن نقول لم يزل بقدرته وبنور لا متى قدر ولا كيف قدر ؟ وقالوا : لا تكونوا موحدين أبدًا حتى تقولوا كان

الله ولا شيء ، فقلنا نحن نقول كان الله ولا شيء ، ولكن إذا قلنا إن الله لم يزل بصفاته كلها أليس إنما نصف إلهًا واحدًا بجميع صفاته وضربنا لهم في ذلك مثلاً فقلنا : أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذوع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها اسم شيء واحد نخلة ؟ سميت نخلة بجميع صفاتها فكذلك الله سبحانه وتعالى وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد ، ولا نقول إنه كان في وقت من الأوقات ولا قدرة حتى خلق القدرة والذي ليس له قدرة هو عاجز ، ولا نقول قد كان في وقت من الأوقات ولا علم له حتى خلق العلم ، والذي لا يعلم هو جاهل ولكن نقول : لم يزل الله عالمًا قادرًا مالكًا لا متى ولا كيف ، وقد سمى الله رجلاً كافرًا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[1] وقد كان هذا الذي سماه الله وحيدًا وله عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة فقد سماه الله وحيدًا بجميع صفاته ، فكذلك الله تعالى وله المثل الأعلى هو بجميع صفاته إله واحد). انتهى .

(١) المدثر الآية : ١١ .

فتبين بما ذكره الإمام أحمد أن الله سبحانه وتعالى إله واحد بجميع صفاته اللازمة القائمة بذاته ، ولم يقل إن من هذه الصفات صفة زائدة على ذاته كالسمع والبصر ، كما أن النخلة بجذوعها وكربها وليفها وسعفها وخوصها وجمارها نخلة واحدة بجميع هذه الصفات لها ، ولا يمكن في العقل أن السعف والليف زائدان على مسمى النخلة إذ جعل هذه المسميات من مسمى واحد، وليس منها شيء زائد على ذاته والله أعلم .

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في بدائع الفوائد بعد كلام سبق : حلوا لنا شبه من قال باتحادهما ليتم الدليل، فإنكم أقمتم دليلاً وعليكم الجواب عن المعارض فمنها أن الله وحده هو الخالق وما سواه مخلوق ، فلو كانت أسماؤه غيره لكانت مخلوقة وللزم ألا يكون له اسم في الأزل ولا صفة ؛ لأن أسماءه صفات، وهذا هو السؤال الأعظم الذي قاد متكلمي الإثبات إلى أن يقولوا الاسم هو المسمى فما عندكم في دفعة ؟

والجواب أن منشأ الغلط في هذا الباب من إطلاق ألفاظ مجملة محتملة لمعنيين حق وباطل ، فلا ينفصل النزاع إلا بتفصيل تلك المعاني وتنزيل ألفاظها عليها ، ولا ريب أن الله تبارك

وتعالى لم يزل ولا يـزال موصوفًا بصفات الكمال المـشتقة أسماؤه منها فلم يـزل بصفاته وأسمائه وهو إله واحد لـه الأسماء الحسنى والصفات العـلى ، وصفاته وأسماؤه داخلة في مـسمى اسمه وإن كان لا يطلق على الصفة وحدها أنـها إله يخلق ويرزق ، فليست صفاته وأسماؤه غيره ، وليسـت هي نفس الإله ، وبلاء القوم من لفظة الغير فإنها يراد بها معنيين أحدهما المغير لتلك الذات المسماة بالله ، وكل ما غاير الله مغايرة محضة بهذا الاعتبار فلا يكون إلا مخلوقًا ، ويراد به مغايرة الصفة للذات إذا جردت عنها .

فإذا قيـل علم الله وكـلام الله غيـره بمعنى أنه غـير الذات المجردة عن العلـم والكلام كان المعنى صحيـحًا ، ولكن الإطلاق باطل فإذا أريـد أن العلم هو الكلام المغـاير لحقيقته المختـصة التي امتاز بهما عـن غيره كان باطلاً لفظًا ومعـنى ، وبهذا أجاب أهل السنة المعتزلة القائلين بخـلق القرآن ، قالوا كلامه تعالى داخل في مسمى اسمه فالله تعالى اسـم للذات الموصوفة بصفات الكمال ، ومن تلـك الصفات صـفة الكلام كـما أن علمـه وقدرته وحيـاته وسمعه وبصره غير مخلوق ولا يقـال إنه غير الله ، فكيف يقال إن بعض مـا تضمنه وهـو أسماؤه مخـلوقة ، وهي غيـره ؟ فقد

حصحص الحق بحمد الله وانحسم الإشكال وأن أسماءه الحسنى التي في القرآن من كلامه ، وكلامه غير مخلوق ولا يقال هو غيره ولا هو هو ، وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون أسماؤه تعالى غيره ، وهي مخلوقة ، ولمذهب من رد عليهم ممن يقول أسماؤه نفس ذاته لا غيره ، وبالتفصيل تزول الشبهة ويتبين الصواب والحمد لله . انتهى .

إذا تبين هذا فقد كان معلومًا بالاضطرار أن أسماء الله وصفاته من الله ، وأنها داخلة في مسمى اسمه لا مغايرة له ولا منفصلة عنه . وقال الشيخ عبد الله ابن شيخ الإسلام محمد أيضًا في رده على الزيدية بعد كلام ذكره عن أهل البدع في لفظ الغير: ولهذا أطلق كثير من مثبتة الصفات عليها أنها أغيار للذات ، وقالوا يقولون إنها غير الذات ولا يقول إنها غير الله ، فإن لفظ الذات لا يتضمن الصفات بخلاف اسم الله ؛ فإنه يتناول الصفات ولهذا كان الصواب على قول أهل السنة أن لا يقال في الصفات إنها زائدة على اسم الله ؛ بل مَنْ قال ذلك فقد غلط عليهم ، وإذا قيل هل هي زائدة على الذات أم لا ؟ كان الجواب أن الذات الموجودة في نفس الأمر مستلزمة للصفات ، فلا يمكن وجود

الذات مجردة عن الصفات؛ بل ولا يوجد شيء من الذوات مجردًا عن جميع الصفات ؛ بل لفظ الذات تأنيث (ذو) ولفظ (ذو) مستلزم للإضافة ، وهذا اللفظ مولد وأصله أن يقال ذات علم وذات قدرة وذات سمع كما قال الله تعالى : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ** ﴾ [1] ويقال فلانة ذات مال وجمال، ثم لما علموا أن نفس الرب ذات علم وقدرة وسمع وبصر رداً وعلى من نفى صفاتها عرفوا لفظ الذات وصار التعريف يقوم مقام الإضافة بحيث إذا قيل لفظ الذات فهو ذات كذا ، فالذات لا يكون إلا ذات علم قدرة ونحوه من الصفات لفظًا ومعنى، وإنما يريد محققو أهل السنة بقولهم الصفات زائدة على الذات ، أنها زائدة على ما أثبته نفاة الصفات من الذات فإنهم أثبتوا ذاتًا مجردة لا صفات لها ، فأثبت أهل السنة الصفات زائدة على ما أثبته هؤلاء، فهي زيادة في العلم والاعتقاد والخبر لا زيادة على نفس الله جل جلاله ؛ بل نفسه المقدسة متصفة بهذه الصفات لا يمكن أن تفارقها ولا توجد الصفات بدون الذات ولا الذات بدون الصفات ، والمقصود هنا بيان بطلان كلام هذا المعترض .

---

(١) سورة الأنفال الآية : ١ .

إذا تأملت هـذا فاعلم أن ما قاله مـحققو أهل السـنة حيث قالوا : إن الـصفات زائدة على الـذات ، إنما مرادهم بذلـك أنها زائدة على ما أثبته نفاة الصفات من الذات فإنهم أثبتوا ذاتًا مجردة لا صفات لها ومقـصود أهل السنة أنها زائدة علـى ما أثبته هؤلاء النفاة ، فهي زيادة في العلم والاعـتقاد والخبر لا زيادة على نفس الله جل جلاله ؛ بل نفسه المقدسـة متصفة بهذه الصفات لا يمكن أن تفـارقهـا ولا توجد الـصفات بـدون الذات ولا الـذات بدون الصفات كما تقدم بيانه .

إذا تحققت هـذا فتخصيص الشـارح السمع والبصر بـأنهما صفتان زائدتان على الذات تخصيص لا أدري ما مقصوده بذلك ، وأهل السنـة أطلقوا لفظ الصفـات ولم يخصوا السمـع والبصر ، فتأمل ذلـك مع أن الإجمال والإطلاق في هذا الموضـع وغيره من غير تفصيل ولا تبيين لما أرادوه مـن إثبات الصفات الزائدة على ما أثبته النفـاة من الذات يوهم من لا معرفة له بـكلام أهل السنة - رضوان الله عليهم - أن المقصود بـذلك أنها زائدة على نفس الله جل جلاله ، وهذا من أبطل الباطل ، وأمحل المحال وقد قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية :

فعليك بالتبيين والتفصيل فالـ
إطلاق والإجمال دون بيان

كم أفسدا هذا الوجود وخبطا الـ
آراء والأذهان كل زمان

ثم لا يخفى عن المحب أن أهل السنة لم يقولوا : إن الصفات زائدة على الذات فقط كما توهمه الشارح وإنما قالوا: إنها زائدة على ما أثبته النفاة من الذات ، لأنهم إنما أثبتوا ذاتًا مجردة عن الصفات ، فتأمل ذلك والله أعلم .

وهذا آخر ما أردنا من التنبيه على هذه الورطات التي لا مخلص منها إلا باتباع مذهب السلف من أهل السنة المحضة، الذين هم الأسوة وبهم القدوة في مسائل هذا الباب وغيره .

إذا تحققت هذا فنحن لم نذكر في هذا التنبيه إلا ما ذكره أئمة الحنابلة وساداتهم الذين أخذوا بأقوال سلف هذه الأمة وأئمتها ، وهذا الذي ذكرناه عن الأئمة هو الذي ندين الله به، وهو الحق والصواب الذي لا شك فيه ولا ارتياب ، وما خالفه فهو من كلام أهل البدع المخالفين لأهل السنة والجماعة.

و ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ

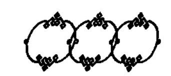
هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾[1] .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) سورة الأعراف : الآية ٤٣ .

فهرس الآيات حسب ورودها في الكتاب

فهرس الأحاديث حسب الحروف الهجائية



الفهرس العام لكتاب تنبيه ذوي الألباب السليمة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

٩٨/٢١٧٤